

مجلة « الخيرية » الشهرية

تصدرها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية من الكويت مرة في كل شهر .
إنها مجلة هادئة ، دعوية تربوية ، تحتوي على مواد إسلامية قيمة ، وتبحث
في قضايا المسلمين و العالم الإسلامي ، في ضوء الإسلام .

إنها مجلة كل مسلم ، ومجلة الشباب المسلم ومجلة الدعاة والعلماء والمفكرين .
يشرف عليها :

معالي الأستاذ يوسف جاسم الحجبي رئيس الهيئة .
و يرأس تحريرها :

د/ عادل عبد الله الفلاح .

العنوان : مجلة الخيرية الشهرية ص ب ٣٤٣٤ (الصفاء) الكويت .

مجلة « الارشاد » الإسلامية

إنها أول مجلة عربية إسلامية شاملة صدرت من الجزائر ، تصدر عن جمعية
الارشاد والاصلاح الوطنية بالجزائر ، برئاسة تحرير : الأستاذ أحمد شرفي الرفاعي .
هذه المجلة الإسلامية نواة طيبة للعمل الإسلامي الكبير الذي يحتاج إليه العالم
و تتطلع إليه المجتمعات الانسانية في كل مكان .

إنها حاجة الدعوة الإسلامية في الجزائر التي تحمل راية الإسلام و تعميم
اللغة العربية في هذا البلد الإسلامي العريق .
مرحباً بالزميلة ، و القائمين عليها .

عنوان المجلة موقفاً : ١/ شارع موسى حمداش - حسين داي الجزائر .
(الجمهورية الجزائرية)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوي من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الأعظمي



شعبنا إنا الخيرة الإسلامية العالمية

المعهد الإسلامي

العدد الخامس - المجلد ٣٥

محرم الحرام ١٤١١ هـ - أغسطس ١٩٩٠ م

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء - ص ب ٩٢ لكتناؤ (الهند)

تصدرها

نداء إلى قرائنا الكرام



الاشتراكات السنوية :

- ★ في الهند : ستون روبية
ثمن النسخة ست روبيات
 - ★ في العالم العربي وفي جميع
دول العالم .
- ١٨ / دولاراً بالبريد العادي ،
و ٣٥ / دولاراً بالبريد الجوي .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامي ،

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة لا تقيد بكل فكر

لكل كاتب ، ينشر فيها .

نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه وفقنا للضي
قدما بمجهود متواضع في مجال البعث الاسلامي
و نرجوه تعالى أن يكرمنا بالثبات و الاستقامة
و الصمود في هذه الجبهة الدقيقة التي نريد أن
نكون فيها مرابطين على الثغر و نودی واجبنا
— بتوفيق من الله تعالى — بكل ما نستطيعه
من قوة و إخلاص و همة و صبر و بدافع من
الولاء الكامل للاسلام .

و بالمناسبة نرجو منك — أيها القارىء
الكریم — أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك
و تقطوع ببذل شيء من وقتك و مالك في سبيلها
وذلك بتوفير اشتراكات و كسب عدد من القراء
أو إنشاء وكالة لها في بلدك و مجتمعك الذي
تعيش فيه ، أو بأى طريق مما تراه مفيداً للمجلة ،
فسيكون ذلك تعاوناً كبيراً منك في سبيل دعم
الكلمة و نشر العقيدة و تأييد الحق ، و تشجيعاً منك
لاخوة لك في العقيدة و الدين ، يعيشون معك
على طول الخط على بعد الديار و تنأى الأمصار .

نرجو ان لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع
الاسلامى المهم ، و تتصل بنا على عنوان المراسلات
و جزائك على الله الذى لا تنفذ خزائنه .



أنشأها :

فقيد البراءة لله سادس الأفاضل محمد الحسنى زهير الدين

في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

المعهد الإسلامي

رئيسة التحرير

سيد الأوحظي الندوي

واضع رتبته الندوي

★ محرم الحرام ١٤١١هـ

★ أغسطس ١٩٩٠م



المراسلات

البعث الإسلامى ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ص . ب ٩٣ . لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box 93, Lucknow (INDIA)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاقتـاحية :

العام الهجرى الجديد و شرعية مفهوم الهجرة

مع مطلع العام الهجرى الجديد تتجدد ذكريات ذات شجون و دموع ،
وتمثل أمام العيون صور مشرقة من معاني الهجرة تارة ، ومن المصالح الاجتماعية
والسياسية حيناً آخر ، فهناك هجرات عديدة قام بها رجال من التاريخ اتباعاً لسنة
الهجرة التي بدأت بهجرة النبي ﷺ ، وكانت منطلقاً كبيراً للدعوة إلى الخلق العظيم
الذى أكرم الله به رسوله الكريم ، وكانت مصدراً للعز والسعادة والاتساع والشمول
فى العالم كله ، و كذلك كل هجرة تكون نابعة من العقيدة الصافية ، و يكون
الغرض الوحيد منها إعلاء كلمة الله و ابتغاء وجه الله ، و قد نالت هذه الهجرة
الكريمة من القبول و الرضا فى شريعة الاسلام ما لم يكن لغيرها من الهجرات
التي توخى منها تحقيق غرض أو أغراض خسيصة من النفس والمجتمع ، لذلك فانها
تتوقف على النوايا الصالحة والتطلعات السامية نحو المقاصد العالية والغايات النبيلة ،
ولقد أشار النبي ﷺ نحو هذا المعنى فى حديثه الصحيح الذى رواه الشيخان عن
أمير المؤمنين أئى حفص بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، و إنما اكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته
إلى الله رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها
أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

و قد ظل هذا الحديث موضع اهتمام المسلمين ، و دراستهم منذ ذلك
الحين ، و استوحوا منه معاني كريمة من الاخلاص و الولاء ، و تزكية النفس

في هذا العدد

٣	★ الاقتـاحية	عام الهجرى الجديد و شرعية مفهوم الهجرة	سميد الأعظمى
١٠	★ التوجيه الاسلامى	جواب لندخ فى القرآن حاجة العالم إلى مجتمع إسلامى مثالى أفضل و الاقربولوجيا و المعيار الاسلامى ،	معالي الدكتور راشد عبد الله الفرحان سمحة للشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى دكتور محمد بن سعد الشويمى
٢٧	★ الدعوة الاسلامية	ارتباط نظرية الغزالي بهقيدة التوحيد تعريف نظام الحكم ، و طبيعته ، و غايته	الدكتور الحافظ احسان الحق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد
٥٤	★ دراسات و أبحاث	عالم النزة و سيرة الكافرون ، لساطان صلاح الدين الأيوبي	فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع سمحة للشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى
٧٥	★ دراسة فى أصول الحديث	علم المرح و التعديل الحقوق الانسانية ومصطلحات الحرية والديمقراطية لبيولوجيا التناسلية	الاستاذ سلمان الحسينى الندوى فضيلة الاستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى الاستاذ منور أحمد أنيس
٩٢	★ صور و أوضاع	تقدمة أم جاهلية	واضح رشيد الندوى
٩٧	★ كتب حديثية	١- الاستئالة الفاتفة بالأجربة اللائقة ٢- أسماء من يعرف بكذبته من الصحابة رضى الله عنهم ، ، ، ٣- كتاب الكنى لمن لا يعرف له اسم ، ٤- مجالس المينى جمعية أهل الحديث المركزية لمصر الهند	قلم التحرير ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،

من شوائب الرياء و المغالطة ، حتى أصبحت الهجرة كلمة ذات قدسية و اتصلت بها مفاهيم إيمانية و تصورات تربوية و دينية خالصة ، تمكنت من قلوب المؤمنين الأولين من أصحاب النبي ﷺ من حققوا معاني الهجرة وهاجروا في سبيل إعلاء كلمة الله و نشر العقيدة الاسلامية الصافية إلى بلدان بعيدة كانت غارقة في الوثنيات و الجاهليات ، كجزر الهند و الصين ، و مالديف و ماليزيا و اندونيسيا ، هاجروا إليها لمجرد تحقيق معنى الهجرة و العمل بالحديث النبوي الكريم ، و قد وقع ذلك في تاريخ مبكر للاسلام ، و في العقود الأولى من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأصحابه المهاجرين رضی الله عنهم .

ولولا أن هذه الهجرة كانت تابعة من صميم الإخلاص و الولاء لله لرسوله ، ولولا أنها اتصلت في عمق و صفاء بقول النبي ﷺ « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله » لم تثمر تلك الثمار الايمانية اليانعة الجنية التي ظهرت في مظاهر شتى من انتشار دعوة الاسلام في هذه البقاع بصورة مدهشة و لم تتحول المجتمعات البشرية فيها إلى مجتمع إسلامي خالص ، تسود فيه المعاني الانسانية الرفيعة من العدل و الرحمة و المساواة و المواساة و جميع القيم الخلقية العليا التي تتكفل بالسعادة الحقة الغامرة .

سجل التاريخ الاسلامي في أدواره المختلفة نماذج رائعة لهذه الهجرة و الولاء ، ظهرت فيها الشجاعة الخلقية و الصلابة العقيدية بأكمل مظاهرها و تمثل فيها الايمان الراسخ بجمعية النتائج الباهرة التي يتلقاها المهاجر في سبيل الله لاعلاء كلمته و دعم شريعته و الجهاد ضد قوى الفكر و الطغيان ، و لكي يتحقق هذا الغرض النبيل لايبالي المهاجر المؤمن على أي شق يكون مصرعه ، و لإلام ينتهي به مصيره ، إنما هو يتفانى في دعم العقيدة و يبيع نفسه و ماله و إمكانياته و مستقبله لله تعالى ، وهو بذلك يرسخ المعاني الكريمة و القيم العالية في نفوس الناس ، ويرفع مستواهم العقلي و العملي إلى أبعاد المدى في جميع شئون الحياة و المجتمع .

و لذلك فقد أوجب عدد من كبار علماء الشريعة و الفكر الاسلامي هجرة المسلمين من دار الكفر و الطغيان إلى حيث يجد فيه الاسلام عزاً و منعة ، و لكن قضية الهجرة هذه ظلت موضع خلاف بين حملة الفقه الاسلامي و المفكرين الاسلاميين ، و ظهرت الشدة في الموضوع لدى بعضهم و خاصة في الظروف التي تصعب فيها أداء المسؤولية و القيام بشعائر الاسلام ، و يعيش فيها المسلمون في تضايق و بلاء لا يتمكنون من التظاهر بشعائر الدين بالتمسك بالعقيدة الايمانية ، بل يواجهون عمليات القمع و التدويب و يهددهم الفناء و الدمار عاجلاً أو آجلاً ، و هم يستشهدون لذلك من واقع الهجرة إلى الحبشة ، يوم لم يكن للاسلام وطن و لا دولة .

غير أن الحرص على أداء سنة الهجرة و الجهاد في سبيل الله لمجرد إعلاء كلمة الله و تطبيق الشريعة و تنفيذ الأحكام و الحدود ، أقلق قلوب بعض الغياري من رجال الايمان و الصدق و الطاعة في العصور المتأخرة ، نذكر منهم على سبيل المثال الامير عبد القادر الجزائري و أتباعه من علماء الدين و التربية الاسلامية ، و كذلك قائد الجهاد الاسلامي ضد إيطاليا في حرب طرابلس سيدي أحمد الشريف السنوسي و أصحابه ، ممن عاشوا بين الهجرة و الجهاد ، و لم يرضوا بأقل من بيع النفس و النفائس لله تعالى و الدخول في مصداقية البيع الرباني و الجهاد الايماني الذي طالب به الله تعالى من عباده المؤمنين و ذلك في قوله : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون و وعداً عليه حقاً في التوراة و الانجيل و القرآن ، و من أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، و ذلك هو الفوز العظيم) .

ويقول الله تعالى في الاشارة بذكر الهجرة و الجهاد في سبيل الله : إن الذين آمنوا و الذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، و الله غفور رحيم (سورة البقرة الآية : ٢١٨) .

و يقول : « و من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً و سعة ، و من يخرج من بيته إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله غفوراً رحيماً ، (سورة النساء الآية : ١٠٠) .

و هناك أمثلة كثيرة في تاريخ الاسلام الحافل بقصص الهجرة و الجهاد في سبيل الله تعالى ، و الزاخر بحكايات التضحية و الجهاد المثيرة لتحقيق الغاية الاسمية من تثبيت دعائم الايمان و العقيدة في النفس و المجتمع ، و يتمثل أمامنا أروع حادث سجله تاريخ الهجرة و الجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري بأحرف من نور ، ذلك هو الامام أحمد بن عرفان الشهيد ، الذي حمل راية الهجرة و الجهاد و خرج من وطنه « راي بريلي » عام ١٢٤١ هـ مهاجراً في سبيل الدين و العقيدة و الجهاد في سبيل الله إلى أفغانستان التي أرادها كقاعدة الجهاد الاسلامي ضد قوى الشر و الطغيان ، إنه كان يعتقد أن شريعة الله تعالى بما فيها أحكام و حدود لا تنفذ في الحياة العملية إلا بالحكومة و النظام الشرعي ، و أن العمل بالكتاب و السنة يتوقف على أن تكون للاسلام دولة مستقلة تقوم على أساس الشريعة ، قد جاء في بعض أفكاره التي نقلت عنه :

« إن بقاء الدين إنما هو بالدولة و إن الاحكام الشرعية و القوانين التي لها علاقة بالدولة لا يمكن العمل بها إذا لم تكن للاسلام دولة ، و إن المسلمين لا يذوقون الذل و النكبة على أيدي الكفار و المشركين ، و إن شعائر الدين لا تداس كرامتها ، و إن المساجد لا تهدم ولا تخرب إلا لمجرد أن الاسلام في هذه الديار ليست له دولة مستقلة . »

و وجه رسالة إلى علماء الهند وشيوخها و أمراءها ، يوضح فيها وجهة نظره إلى الجهاد ، و الغاية التي يهدف إليها في القتال مع أعداء الله ، جاء فيها :

لقد وفق الله تعالى هذا العاجز سابقاً لأن يدعو الناس إلى اتباع الشريعة و الأمر بالمعروف ، ليل نهار ، كما يعرفه الكثير من زملائنا ، ثم أنعم الله سبحانه و تعالى بأن يدخلني في زمرة المهاجرين الصادقين برفقة عدد من عباده المؤمنين المخلصين ، و أشكر الله جل و علا على هذه النعمة شكراً عظيماً ، و بما أن الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف لا يكتملان بدون الجهاد و القتال في ساحة الحرب ، أمر الله سبحانه إمام الهداة و سيدة الدعاة محمداً ﷺ في الأخير بقتال الكفار ، فظهر دين الله و شريعته على سائر الأديان و الشرائع ، و على ذلك ألهمني الله تعالى بأداء هذه العبادة و الحصول على هذه السعادة ، بأن عازمت على تحقيق هذه المأثرة ، باذلا كل شئ من الانفس و الارواح و الاموال و الأهل و الوطن في سبيل هذا العمل العظيم ، و كل ذلك لإرضاء الله تعالى و إرغاماً للكفار و المشركين لا يشويه شئ من هوى النفس و وساوس الشيطان ، و أصرح من جديد فأقول : إن الله علام الغيوب شهيد على أن « دافع الجهاد ، الذي يعيش في نفسه و يقلقني ليس إلا لوجه الله تعالى و إعلاء كلمته ، دون أن يخطر على بالي شئ من الجاه و العز و السيادة و الحكم ، و المال و الصيت ، و الفضيلة على الناس و المعاصرين أو نوع من الأمان الكاذبة و الاحلام الضائعة ، و الله على ما نقول وكيل . »

إن قصة هذه الهجرة و الجهاد تتصل بمفاهيم الهجرة و الجهاد العميقة و تتمثل فصولها و رواياتها لمن يتابعها من خلال تلك الدلالات العميقة التي نبعت من روح الطاعة و قوة العقيدة و الايمان الخالصة ، و بذلك تبين شرعية مفهوم الهجرة الدينية التي تتصل بالعقيدة و الولاء الخالص لله و لرسوله ، و توضح دلالة قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح المروي أعلاه ، و ما قد تحدث الله سبحانه عنها في كتابه قائلاً :

و الذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً ،
و إن الله لهو خير الرازقين ، ايدخلهم - م مدخلا يرضونه و إن الله لعليم حلِيم
(الحج ٥٨ - ٥٩) .

و تذكر بالمناسبة هجرة القوى الكافرة إلى دول و أوطان المسلمين لأغراض
سياسية فحسب ، و لتشويه صور القضايا المصرية التي يعيشها سكان هاتيك الدول
المسلمة ، و حسبنا كمثل هجرة اليهود السوفيات اليوم إلى فلسطين التي يمارسها
المعسكرات العالمية لمجرد القضاء على حقوق المسلمين و تصفية حسابهم - م في قضية
القدس و فلسطين ، و القضاء على الانتفاضة الايمانية العارمة التي يقوم بها المؤمنون
رجالاً و نساء و أطفالاً و شيوخاً .

إن الهجرة التي هي وسيلة إسلامية خالصة و تنطوي على مفهوم إيماني عميق
و على دلالات ذات مغزى عقدي عظيم ، قد تبنتها القوى الكافرة تحقيقاً لأغراض
سياسية رخيصة ، و تشتيتاً لوحدة المسلمين الايمانية و العقائدية ، و بقدر ما تزايد
عليها اقبال الأعداء تقلل اهتمامنا بها و انصرفت عنايتنا عنها ، و الله سبحانه و تعالى
يقول : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة و لأجر
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (النحل ٤١) -

و يقول : « ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا
و صبروا ، إن ربك من بعدها لغفور رحيم (النحل ١١٠) -

و تمثلت معاني الهجرة بمناحيها المختلفة في الجهاد الاسلامي الذي يجري في
أفغانستان و سوف تتضح صورها الرائعة باذن الله تعالى في نهاية المطاف ،
و يؤلف حولها أسفار و تكون منها مكتبة بأسرها يعتز بها الأجيال .

و الله يقول الحق وهو يهدي السبيل . سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

ذلك رفع الحكم بالكلية بحملته وجميع أفرادها ، و ذلك كنسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة لقوله تعالى في سورة البقرة (١) « و من حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، فنسخت الآية الدليل الثابت من السنة العملية بأمر الرسول ﷺ أصحابه بالتوجه في صلاتهم إلى بيت المقدس أولاً ، فهما دليلان متعارضان ، كان لا بد من طرح أحدهما لعدم الامكان في الجمع بينهما ، و قد تم بالفعل و الواقع تنفيذ هذا النسخ .

الزمن

٣- عامل الزمن مهم في النسخ و معرفة تاريخ نزول النصين أمر مهم ، و لذلك لا بد أن يثبت بدليل صحيح تأخر نزول الناسخ من زمن نزول المنسوخ ، فلا يجوز أن تنسخ مثلاً الآيات التي نزلت بمكة قبل هجرة النبي ﷺ آيات نزلت في المدينة ، و كذلك لا يجوز أن ينسخ الحكم الشرعي بحكم شرعي نزل معه ، و لا آية نزلت مع آية أخرى في وقت واحد ، و لا يجوز نسخ الحكم المؤقت ، و منه المغيا كقوله تعالى في سورة النساء (٢) « حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلاً » ، و قوله تعالى في سورة البقرة: (٣) « فاعفوا و اصفحوا حتى يأتي الله بأمره » ، كما قرر ذلك السيوطي (بمعتك الأقران) و غيره من العلماء ، و ذلك لأن المغيا ينتهي بانتهاء غايته ، و المؤقت ينتهي بانتهاء وقته ، دون الحاجة إلى النسخ ، كما أن بيان الغاية المحمولة لا يعتبر نسخاً للحكم الذي وقت إليها إذ هو لا يناقضه .

(١) الآية : ١٥٠ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٥ . (٣) الآية : ١٠٩ .

جواب النسخ في القرآن

بقلم : معالي الشيخ راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف سابقاً لدولة الكويت

شروط و قواعد النسخ

- ١- وضع علماء النسخ شروطاً و قواعد لعملهم لا بد من تحققها للقول بالنسخ وهي موجودة في كتبهم ، نجعلها فيما يأتي ثم نأتي على تفصيلها فيما بعد .
 - وجود التعارض في المعنى .
 - اختلاف الزمن بين الآيتين .
 - ألا تكون الآيات أخبارية .
 - ألا تكون الآيات في الوعد و الوعيد .
 - ألا تكون الآيات في الأحكام الشرعية الاعتقادية .
 - السنة و الاجماع و القياس لا تنسخ القرآن .
 - القرآن ناسخ للكتب و الشرائع السماوية قبله .
 - لا بد لوقائع النسخ من دليل صحيح .
- شروط تضاف إلى ما تقدم

- شروط التواتر في الدليل .
- يجب أن يكون الناسخ آية و المنسوخ آية .

التعارض

٢- يرى القائلون بالنسخ أنه لا بد لقيام النسخ في القرآن أن يوجد التعارض الذي لا يمكن الجمع فيه بين نصين في موضوع واحد ، و يعرفونه بأنه (أن يقتضى أحد الدليلين المتساويين في القوة ما يقتضيه الآخر) و مقتضى

تعالى ، و أنزلنا إليك الذكرتين للناس ما نزل إليهم ، (١) .
وقد رد العلماء نسخ القرآن بالسنة إجمالاً ، إلا أن بعض العلماء يرى تخصيص
الكتاب بها ، وذلك كتخصيص عموم آية الوصية بحديث « لا وصية لوارث » .
و أما الاجماع فان المعتبر منه ما كان في عصر الصحابة على فرض
وقوعه ، فهو متأخر عن عصر النبوة فلا ينسخ ، و مثله القياس .

قال الامام موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي في (روضة الناظر وجنة
المناضر) (٢) فأما الاجماع فلا ينسخ لأنه لا يكون إلا بعد انقراض زمن النص
و النسخ لا يكون إلا بنص ، ولا ينسخ بالاجماع ، لأن النسخ إنما يكون لنص .
القرآن ناسخ لما قبله

٨- القرآن بمجمله ناسخ للكتب السماوية قبله ، كالتوراة و الانجيل و غيرها من
الصحف كما أن الاسلام ناسخ لجميع الديانات قبله لقوله تعالى : « و من
يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ، ونسخ
القرآن للسنة واقع في بعض الأحكام و ذلك كنسخ التوجه لبيت المقدس
الثابت بالسنة العملية بقوله تعالى في سورة البقرة : « و من حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا و جوهكم شطره » ،
و كنسخ الافطار بعد النوم في الليل في صدر الاسلام ، حيث كان الأكل
و الشرب و الجماع محرماً ، فأبيح بقول تعالى في سورة البقرة : « أحل لكم
ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ، (٣) و سنورد ذلك بالتفصيل في ردنا على
السيوطي في موضعه .

لا بد لوقائع النسخ من دليل صحيح

٩- يقول الدكتور مصطفى زيد في كتابه : النسخ في القرآن (و إنها لبديهية

(١) النحل الآية : ٤٤ - (٢) ص ٤٥ . (٣) البقرة الآية : ١٨٧ .

أما الزمن الذي يسوغ فيه نسخ النصوص فهو عصر الرسالة دون
ما بعده ، و من ثم يجب أن ترفض كل دعوى نسخ لم تؤثر عنه .
ليس في الأخبار نسخ

٤- الآيات الاخبارية لا يدخلها النسخ لأنه تكذيب للخبر و ذلك محال على الله
عز وجل ، و قد ساق القرآن منها الكثير ، كقصص الانبياء السابقين
و الأخبار عن الماضين ، أو وصف الصالحين و المتقين ، و كذكر الجنة
و النار و ما فيهما من أوصاف .

الوعد و الوعيد و التهديد

٥- آيات الوعد و الوعيد مهما تضمنته من أمر أو نهى لا يمكن أن تنسخ ،
لأن ما تضمنته لا بد أن يقع ، فلها حتمية الوقوع . و مثال ذلك قوله
تعالى في سورة الانعام : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرتهم
الحياة الدنيا و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ، ليس لها من دون الله
ولى ولا شفيع ، (١) و مثله في سورة المدثر : « ذرني و من خلقت وحيداً » ، (٢)

العقيدة

٦- الأحكام الشرعية الاعتقادية لا يرد عليها النسخ لأن أحكام العقيدة
لا يتصور فيها توارد الأمر و النهى على مسألة واحدة ، إذ هي ثابتة في
جميع الشرائع الإلهية ، مثل قوله تعالى في سورة فاطر : « الحمد لله فاطر
السموات و الأرض جاعل الملائكة رسلاً ، (٣) و كقوله تعالى : « قل هو
الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد » .

السنة و الاجماع و القياس

٧- السنة ليست في مرتبة القرآن ، و قد جاءت شارحة و مبينة له ، قال الله

(١) الآية : ٧٠ . (٢) الآية : ١٢ . (٣) أول سورة فاطر .

وكل ما يثبت بيقين فلا يبطل بالظنون ، ولا يجوز لنا أن نسقط طاعة أمر
امرنا به الله تعالى و رسوله إلا بيقين .

شرط يضاف إلى ما تقدم

١- سقنا فيما تقدم الشروط و القواعد التي اشترطها العلماء القائلون بالنسخ
و آخر الشروط أن تكون وقائع النسخ معتمدة على سنة صحيحة ثابتة
منسوبة إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة بيقين .

راجع في ذلك كتاب النسخ في القرآن للدكتور مصطفى زيد (١) .

وفي رأينا أن ذلك لا يكفي بل لا بد من إضافة شرط آخر وهو أن يثبت
النسخ بالطريقة التي يثبت بها القرآن وهو التواتر فلا يجوز تعطيل شيء منه إلا
بمثل ما ثبت به .

شرط آخر يضاف إلى ما تقدم

١١- يجب أن يكون النسخ آية من القرآن ، و المنسوخ آية أخرى كاملة مثلها
ليتمشى ذلك مع دليل القائلين بالنسخ حيث يستدلون على ذلك بقوله
تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) .

و قوله تعالى (و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل (٢) و على
ذلك يجب أن يرفض كل ما ادعى أنه منسوخ من الكلمات لجزء من الآيات ،
فلا يصح أبداً أن يقال في آية إن أولها منسوخ و وسطها محكم و آخرها منسوخ
أو أولها منسوخ و آخرها منسوخ .

هذا مع عدم تسليمنا بدلالة الآيتين على وقوع النسخ في القرآن ، لأن
الأولى تدل على الآية الكونية ، و الثانية خاصة بترتيب آيات القرآن في الصحف
على ما هو موضح في موضعه

(٢) النحل : ١٠١ .

(١) فقرة ٢٥٧ .

جواب النسخ في القرآن

مقررة في كل شريعة و كل قانون ، أن الذي يملك سلطة التشريع ، له وحده
الحق في نسخ ما كان قد شرعه) .

و إنما يكون النسخ بخطاب منه ، كما كان التشريع بخطاب ، فكما يجب أن
يكون المنسوخ حكماً شرعياً ، ثبت بقرآن أو سنة يجب أن يكون النسخ أيضاً
حكماً شرعياً ، و أن يثبت بقرآن أو سنة و من أجل أن وقائع النسخ لا تعرف
إلا بالتلقي عن صاحب الشرع نفسه ، و من أجل أن النسخ الذي يدعى وقوعه
في كل منها لا يقبل إلا إذا كان بخطاب يثبت الحكم المتأخر بيقين ، كما كان الحكم
المنسوخ ثابتاً بيقين ، قال الامام أبو إسحاق الشاطبي : إن الاحكام إذا ثبتت على
المكلف فادعاء النسخ فيها لا يكون إلا بأمر محقق ، لأن ثبوتها على المكلفين أولاً
محقق فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلا بمعلوم محقق .

وقال الامام أبو محمد علي ابن حزم (١) (لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم
الآخر يقول في شيء من القرآن والسنة هذا منسوخ إلا بيقين لأن الله عز وجل
يقول : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) و قال تعالى : (اتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم) فكل ما أنزل الله تعالى من القرآن ، أو على لسان نبيه
ففرض اتباعه ، فمن قال في شيء من ذلك إنه منسوخ فقد أوجب ألا يطاع ذلك
الأمر ، وأسقط لزوم اتباعه ، وهذه معصية لله تعالى مجردة وخلاف مكشوف ،
إلا أن يقوم برهان على صحة قوله ، و إلا فهو مقتر مبطل ، و من استجاز
خلاف ما قلناه فقوله يؤول إلى إبطال الشريعة كلها ، لأنه لا فرق بين دعواه
النسخ في آية ما أو حديث ما ، و بين دعوى غيره النسخ في آية أخرى أو حديث
آخر ، فعلى هذا لا يصح شيء من القرآن و السنة ، و هذا خروج عن الاسلام

(١) الاحكام في أصول الاحكام ج ٤ ص ٨٣-٨٤ .

إني أحرار في نفس الوقت بماذا أتحدث إليكم؟ ، و أتم - الحمد لله - ممن يستفاد منهم و يتعلمون عليهم ، و سيدور حديثي حول حاجة اليوم الكبرى في ضوء دراستي وفي ضوء سياحاتي وجولاتي ، ليس في المنطقة الشرقية الإسلامية فقط ، بل في المنطقة الغربية و المركز الحضاري ، و المركز القيادي في العالم ، كأمريكا و أوروبا ، و كالشرق غير الإسلامي كقارة الهندية و ما جاورها من البلاد .

إن الحاجة الكبرى اليوم أيها السادة : هي وجود مجتمع مثالي نموذجي يرضاه الله تبارك و تعالى و يكون في صالح الإنسانية ، و يكون نموذجاً بل مرآة للتعاليم الإسلامية في العقائد أولاً ثم في الأخلاق و المعاملات و شعب الحياة ، هذا المجتمع مفقود ، لا أقول معدوم ، وإني أعيد نفسي أن أقول هذه الكلمة ، و لكنه مجتمع مطلوب في الواقع ، و مجتمع محتاج إليه ، إنه لا يغير وضع العالم في هذا الوقت شيء مثل ما يغير وجود هذا المجتمع المثالي الإسلامي ، و إن الإسلام ما شق طريقه إلى الأمام كما تعرفونه جميعاً - ، و لا أقول إني أزيد في معلوماتكم - إن الإسلام ما شق طريقه إلى الأمام و ما فتح الله له هذه الفتوح العظيمة التي لا تزال موضع دهشة المؤرخين و المتبصرين و الناقدين ، و لم يستطع الإسلام أن ينشئ نمطاً جديداً من الحياة و أن يجلب الشعوب و الأمم ، و العقول و القلوب ، و النفوس و الأرواح ، في كم و كيف ، ليس لهما مثال في التاريخ الإنساني ، لم يستطع الإسلام أن ينجز أو يحقق هذا المطلوب و أن يصل إلى ما وصل إليه في الماضي و لا تزال له آثار باقية ليس بتعاليمه و توجهاته فحسب و لا بمبادئه و مثله ، بل المجتمع الحي الذي يسعى على التقدم و يتكلم باللسان و يعمل باليد و يشعر بوجوده في الحياة في الخارج .

لقد كان هذا المجتمع مفقوداً بل كان معدوماً منذ قرون بل منذ آلاف من السنين وكانت التعاليم الخلقية في الصحف السماوية - إذا كانت هذه الصحف

حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل

[هذه المحاضرة ارتجلها سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي في حفلة عامة نظمها فضيلة الشيخ عبد الله علي بصفر يوم ٢٢ / رجب ١٤١٠ هـ (١٧ / فبراير ١٩٩٠ م) في جدة (المملكة السعودية) نشرها للعاني القيمة التي جاءت فيها ، و تعميماً للنفع [التحرير ،

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد وآله و صحبه أجمعين ، و من تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .
أما بعد :

فانه يشرفني و يسعدني أكثر مما يسرني أن أتحدث إلى هذه المجموعة الطيبة إلى هذه المجموعة المختارة ، و الصفوة من العلماء و المشايخ و الموجهين للمسلمين ، و القادة الدينيين ، إنها كذلك مسئولية كبيرة ضخمة ينوء الأقبوياء بحملها ، فان الحديث إلى هذه المجموعة المختارة التي هي موضع ثقة المسلمين و موضع حب المسلمين ، المجموعة التي تلتقي آذاناً صاغية و قلوباً واعية على منابر المساجد ، و في المناسبات الأخرى ، لهُو بمثابة الحديث إلى آلاف من المسلمين .

إن الإنسان إذا خير بين أن يتحدث إلى الجماهير الحاشدة مباشرة أو على إذاعة من الإذاعات ، لفضل أن يتحدث على الإذاعة ، لأن الإذاعة تبلغ صوته ، و تبلغ رسالته إلى آلاف من المستمعين بل إلى الملايين في بعض الأحيان ، فحديثي إلى هذه المجموعة المؤثرة في الحقيقة حديث على الإذاعة ، و لكنها ليست إذاعة صناعية ، و ليست إذاعة حكومية ، و إنما هي إذاعة دعوية و إذاعة توجيهية ، و إذاعة قيادية ، و إذاعة روحية .

الساوية على أصلها و إلا ضاع منها الكثير و حرف منها الكثير - و لكن لم يكن يوجد مجتمع يتنفس فيه الانسان ، و يشم فيه رائحة الايمان ، و يشعر بالنفس الايماني و الشعور الايماني ، و تملأ جوارحه و تفر قلبه نفحات ربانية ، نفحات روحانية ، يشعر في ذلك بالسعادة الحقيقية ، و يشعر بأنه انتقل من الجحيم إلى الجنة ، و من الشقاء إلى السعادة ، و من العذاب إلى النعيم .

هذا المجتمع الذي أوجده محمد ﷺ ، و كان مركزه الأول في المدينة المنورة ، ثم امتد هذا المجتمع حتى تخطى الحدود و بلغ إلى أقصى الارض ، هذا المجتمع هو الذي جلب القلوب و النفوس إليه ، و كان أكبر برهان ، و إن ألف برهان في جانب ، و ألف دلائل عقلية في جانب ، و وجود هذا المجتمع و وجود هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يمثلون هذا المجتمع كان كافياً ، كان الانسان إذا دخل في هذا المجتمع انجذب إلى هذا المجتمع بقلبه و قالبه و عشق هذا المجتمع و ما أحب أن يفارق هذا المجتمع ، و أراد أن يعيش فيه و يموت فيه ، يروى عن سيدنا الامام ابن شهاب الزهري و هو من كبار التابعين و ممن عليه الاعتماد في رواية الحديث ، يقول :

« لما كانت الهدنة و وضعت الحرب أوزارها ، و أمن الناس ، و كلم الناس بعضهم بعضاً ، و التقوا فتفاوضوا في الحديث و المنازعة فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، و لقد دخل في تينك الستين مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر ، (١) .

و ذلك في فترة ما بين صلح الحديبية و فتح مكة ، لأنه قد سمح لهم ، و تيسر لهم لقاء أقاربهم و قضاء بعض الوقت معهم ، و رؤيتهم عن كسب ، و قضاء

(١) سيرة ابن هشام ١ ق ٢ ص ٣٢٢ .

النهار معهم ، فأرأوا أنهم تنمط آخر من الانسانية و نموذج آخر ، لا يكذبون و لا يسبون و لا يعضبون غضباً مفرطاً ، و يؤثرون على أنفسهم و أبناءهم و لو كان بهم خصاصة ، و يذكرون الله قياماً و قعوداً و يحسبون في كل عمل ، لا يعملون عملاً إلا بايمان و احتساب ، كأن بيوتهم قطعة من الجنة ، قطعة من جنة الفردوس ، لا جدال فيه و لا سباب فيه و لا غيبة فيه و لا حسد فيه و لا مرأه فيه ، فكانوا يسلمون ، يأتي الواحد إلى خاله ، و يأتي الثاني إلى عمه ، و يأتي الواحد إلى ابن أخته و إلى ابن عمه كما جرت العادة ، لأنه قد أزيلت تلك السدود التي كانت بين أبناء قريش ، بين الكفار من قريش و بين المسلمين ، و آمنوا على نفوسهم و أرواحهم ، و جاءوا يزورون إخوانهم و أقاربهم .

و إذا قضوا معهم أياماً ، كانوا يفكرون فقد رزقهم الله تعالى سلامة الفكر ، إنهم استعرضوا الوضع فقالوا نحن من نسل واحد ، من ذرية واحدة ، نحن بنو عدنان ، نحن بنو قريش ، ثم لغتنا واحدة ، يتكلمون بالعربية و نحن نتكلم بالعربية ، ثم إن غذاءهم واحد يأكلون كل ما نأكل و نأكل ما يأكلون ، ثم إن لباسنا واحد ، لأن العرب كانوا يلبسون لباساً واحداً و زياً واحداً ، من أين جاء هذا الفرق ، من أين جاء هذا الفرق الهائل ، هذا الفرق المدمش ، من أين وقعت هذه الفجوة العميقة بين حياتنا و حياتهم ، هؤلاء كأنهم ملائكة ، و نحن بشر ، إنهم أسلموا بعد ذلك ، و على كل حال هم من قبيلة رسول الله ﷺ ، فكانوا يرون هذا الفرق الهائل فيفكرون لأن الله سبحانه و تعالى رزقهم سلامة الفكر و القدرة على الموازنة و الاستعراض الصحيح ، فقالوا إنما جاء هذا عن طريق الاسلام لماذا لا نسلم ؟ فأسلم هذا العدد الكبير لأنهم رأوا الاسلام بأعينهم يسعى على قدميه ، و يتكلم بلسانه ، و يلبسونه لمساً ، لأن القضية ليست

قضية فكرية أو قضية مقارنة بين الديانات أو قضية عقلية قياسية ، بل أصبحت قضية عينية ، قضية مشاهدة .

أيها السادة ! إننا الآن في حاجة إلى مثل هذا المجتمع و قد قرأتم في التاريخ أن هرقل إمبراطور الروم مرة سأل أحد رجال قواته ، أو أحد قادة جيشه ، فقال يا فلان بالله أخبرني أنا أرسل جيشاً بعد جيش ، وكتيبة إثر كتيبة ، هذا الجيش الذي هزم الإيرانيين في الأمس القريب ، ودمرهم وكسر شوكتهم ، و تغفل في بلادهم ، كيف يعجز هذا الجيش عن أن يتغلب على جيش المسلمين الذين ما مارسوا الحروب ، ولم تكن لهم تجارب حرية مثل ما كانت للإيرانيين ؟ كانت إيران إمبراطورية راقية من أرقى الامبراطوريات التي عرفها التاريخ ، إنهم كانوا يعرفون الأساليب الحربية كما نعرف أو أحسن منا ، كيف استطعنا أن نهزمهم ، و لا نستطيع أن نهزم هؤلاء العرب البدو ، سكان الخيام و رعاة الابل ، كيف لا يستطيع هؤلاء القادة المحنكون الذين هزموا إيران بالأمس أن يتغلبوا عليهم ؟ صفهم لي ، قال أو تعفيني - يا جلالة الملك ، قال : لا ، صفهم لي ، قال إذن تسأخني ، فقال له : قل ما شئت .. قال : هؤلاء بالليل رهبان ، و بالنهار فرسان ، هم عباد ليل ، و أحلاس خيل ، إذا دخلت في مسجد في الليل لم تستطع أن تسمع صوتهم لدوى ما يقرؤنه من القرآن ، لهم دوى كدوى النحل ، و لا يأخذون شيئاً من دكان إلا إذا أدوا ثمنه ، وإذا سرق ابن أميرهم قطعوا يده ، فقال و الله إن صدقت فانهم سيصلون إلى موضع قدمي هاتين ، و هكذا كان .

هذا المجتمع هو حاجة الانسانية الآن ، لقد ارتقت المدينة كما تعرفون ، لأنها وصلت إلى آخر نقطة ، إلى أوجها ، استطاع الانسان اليوم أن يسبح في

الجو ، استطاع أن يصل إلى القمر ، و كما يقول الدكتور محمد إقبال : إن الذي أسر أشعة الشمس ووصل إلى القمر لم يعد يحسن أن يمشي على الأرض كأنسان ، و كما قال عالم هندي لفيلسوف بريطاني ، كان هذا البريطاني الانجليزي يتبجح و يذكر رقي المدينة و الفتوح التي حققتها المدينة الغربية والصناعة الغربية ، قال : إننا قطعنا زمالاً طويلة أو عويصة ، و إننا قطعنا في كذا من الساعات في سيارات ، و نحن نسير من مكان إلى مكان بالرحلة الجوية بالطائرة في كذا من الوقت ، و نحن فعلنا كذا و كذا ، فقال هذا العالم الهندي نعم إنكم استطعتم أن تطيروا في الجو كالطير ، و استطعتم أن تسبحوا في الماء كالسمك ، و لكنكم لا تحسنون المشي على الأرض كأنسان ، فالمدينة الغربية في الحقيقة متناقضة ، إنها وصلت إلى أرقى مدى من الصناعة ، و من الفتوح العلمية و الفتوح الاكتشافية و لكنها أفلست في الانسانية ، أفلست في البشرية .

نحن الآن في حاجة إلى أن نحاول أن ننشئ مجتمعاً نموذجياً مثالياً في بلد من بلاد الاسلام ، و إنني أقول لكم و أؤكد لكم إنه إذا وجد هذا المجتمع لجاء الجوابون لجاء التواقون ، لا أقول الجوابون أقول التواقون ، لرؤية هذه المدينة من أقاصى الدنيا ليقتضوا يوماً واحداً في هذا المجتمع إنهم سثموا الحياة الآلية فعلاً ، إنهم يملكون العالم بالقوة السياسية و الحرية و المالية ، و لكنهم قد سثموا هذه المدينة ، و إنهم في شوق إلى أن يحجوا مجتمعاً سليماً ، مجتمعاً صالحاً ، مجتمعاً مثالياً ، مجتمعاً خلقياً ، فاذا سمعوا أن في أي جهة من جهات الشرق الاسلامي ، في أي مكان من أرض الله وجد هذا المجتمع لجابوا الآفاق ، و قاموا بالرحلات الطويلة الباهظة لرؤية هذا المجتمع ، نحن في أشد الحاجة لننشئ هذا المجتمع ، و هذا لا يكون إلا إذا كان عن طريق المنابر في المساجد و عن

طريق التوجيهات التربوية ، و عن طريق الدروس الدينية ، لان المسلمين الآن لا يزالون على خير ما داموا مرتبطين بالعلماء و بالتوجيه الديني ، و بالدروس الدينية ، فيجب أن نزيل ذلك التناقض الذي حدث في حياة المسلمين .

لقد أصبحت حياة المسلمين وحدات متنافرة ، بل في بعض الاحيان وحدات متناقضة ، وحدة دينية فيها صلاة وصيام ، ولكن فساد في المعاملات ، وضعف في الاخلاق ، و إخلال بالواجبات و الفرائض ، و هكذا ، و إذا كانت هناك بيئة صالحة في ظلال الدين ، فهناك حياة غير صالحة في البيوتات ، الحياة العائلية ليست حياة مثالية دينية ، يجب أن تجمع هذه الوحدات كلها ، فتكون حياة المسلمين وحدة واحدة لا مقسمة موزعة من وحدات كثيرة ، فيقال : إذا أردتم أن تأخذوا صورة مشرقة للاسلام و المسلمين ، فعليكم بالمساجد ، و من يدخل في المساجد من غير المسلمين ؟ .

أذكر لكم بهذه المناسبة مثالا من تجربتنا في الهند ، بلد الاغلبية غير الاسلامية قنا في الهند بحركة تسمى « حركة رسالة الانسانية » ، نحاطب بها المسلمين ونوجهها ، إلى غير المسلمين أيضاً ، فدعو إلى الاخلاق الصالحة و الحياة الشرعية التزيمية و إلى التسامي عن عبادة المادة ، و عبادة الاموال ، و الرشا و الخيانات و الجنايات ، و ندعو إلى حياة شريفة نزيهة خلقية ، و بذلك أقول للمسلمين تستطيعون أن تتولوا قيادة هذه البلاد لان هذه البلاد في سبيل انتحار جماعي ، وفي سبيل انهيار مفزع ، ليس المجتمع الهندي وحده بل كل مجتمع ، أقول لكم عن تجربة و مشاهدة كل مجتمع في العالم يسعى بسرعة إلى الانهيار الجماعي ، و الانتحار الجماعي ، أنا أقول لهم إنكم إذا كنتم ممثلين للاسلام و للاخلاق الاسلامية و للحياة الاسلامية فتستطيعون أن تنقذوا هذه البلاد ، ثم الله سبحانه و تعالى يقول في

القرآن الكريم ، و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ، فأنتم بذلك تستطيعون أن يكرمكم الله مرة ثانية بقيادة البلاد ، و قد لفت أنظار المسلمين إلى مواضع الضعف في حياة المسلمين أيضاً مثلاً في المعاملات في الاخلاق ، في التجارات ، و مثلاً في الوظائف و في أداء الواجب ، و قلت لهم أصلحوا أنفسكم أولاً ثم قودوا البلاد ثم تسلموا مسؤولية إيقاد البلاد ، لان الله سبحانه و تعالى يقول : « و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون » ، ليس النبي ﷺ على الارض بيننا الآن و لكن أمته لا تزال ، لا يسوغ أن تنهار بلاد و أن تسقط بلاد و أن تكون فريسة الدمار و الانهيار و الانتحار مع وجود الامة الاسلامية فيها ، فأنتم المسئولون أمام الله ، و مسئولون في التاريخ كيف انهارت هذه البلاد و كيف غرقت هذه السفينة و أنتم من ركبها ، كيف تفرق سفينة و أنتم ركبها ؟ إنكم تستطيعون أن تجدوا هذه السفينة إلى النجاة مادتم على هذه السفينة مع زملائكم الركاب الآخرين ، فأنتم تجدون هذه السفينة ، فقودوا البلاد قيادة خلقية ، قيادة إنسانية ، إن الناس ينظرون إليكم بنظرة إجلال و تقدير ، أما المنافسات السياسية فقط ، و أما الحروب الطائفية فقط ، و أما الاصطدامات المادية فقط ، و أما التكالب على المادة ، هذا لا يرفعكم و لا يشرف قدركم و لا يرفع منزلتكم في عيون الآخرين ، أنتم إذا تجردتم عن الأنانية ، و إذا تجردتم عن الشهوانية ، و إذا تجردتم عن عبادة المادة ، و إذا رثيتم للانسان مهما كان ، هنالك يكرمكم أهل البلاد ، و ينظرون إليكم كالمنقذين .

لأنني أقيمت كلمة في مناسبة في ملتقى كبير في إحدى مدن الهند الكبيرة ، عاصمة من عواصم الولايات ، و حذرت الناس من الأخطار التي تتهدى البلاد ،

أن المجتمع الهندي يمشى بخطى سريعة إلى الدمار و البوار من أجل انتشار الرشوة و عبادة المادة ، و صورت لهم وضع البلاد ، فجاء زعيم من زعماء الطوائف و أراد مقابلي تخشيت أن يوجه إلى أسئلة يناقشني ، ولكن بعد ذلك سمحت له فجاء و قال : لاني قد سمعت كلمتكم بالأمس فوصلت إلى نتيجة و هي أنكم تهتمون بهذه البلاد أكثر منا ، أنتم تهتمون بهذه البلاد ، وأن وضع البلاد يقلقكم أكثر مما يقلقنا ، فقلت هذه و الله شهادة لها قيمة ، هكذا يجب أن يكون المسلمون في هذه البلاد حتى ينظر إليهم مواطنوهم كمنقذين للبلاد ، و يرجعون إليهم كما يرجع الانسان الغريق إلى سفينة .

هكذا يجب أن يكون في البلاد الاسلامية و خصوصاً في مركز الاسلام مجتمع ممثل ، مجتمع حي متحرك ، مجتمع يمكن أن يلبس باليد ، و يشعر به في جميع مرافق الحياة ، في جميع نواحي الحياة ، هذا هو الشيء الذي يتعطش إليه العالم كله ، غريباً كان أم شرقياً ، إنه موزع بين المراكز من القيادات الغربية و الشرقية ، لكنه ليس في حاجة أكثر من حاجته إلى وجود مجتمع صالح ، مجتمع مثالي نموذجي ، يطبق تعاليم الاسلام و يفكر في مصير الانسانية ، يتألم لما يرى حوله من أزمات و محن و إهانات للانسانية و نسيان للخالق ، و استعباد الانسان للانسان ، هذا المجتمع هو حاجة العصر الكبرى ، و أنتم تستطيعون أن تنشئوا هذا المجتمع أولاً في هذه البلاد المقدسة التي فيها نشأ ، و هنا ولد ، و هنا شب ، و هنا ترعرع ، و من هنا خرج وفتح الآفاق ، وفتح العالم ، فالمسئولية ترجع إليكم أولاً ، و إن شاء الله ترسم خطاكم و نمشي خلفكم : و العالم الآن أقول لكم بصراحة : العالم الآن : لا يقيم وزناً كبيراً للرفاهية و للرخاء و للثراء الفاحش و لوسائل المعيشة لما يعود على أهل البلاد بالرخاء و الثراء ، العالم لا يهابه و لا

يقيم له وزناً كبيراً ، إنما يقيم وزناً للثقل و المبادئ و الاخلاق و المعاملات و أسلوب الحياة و نمط الحياة .

أنا لا أكفر بالنعمة بل أشكر الله تعالى على ما أنعم الله به علينا من وجود آلات الترفيه و من آلات المدينة ، من كثرة السيارات و من الأنوار المنيرة للبلد و من هذا المستوى الرفيع من المدينة ، أقول : هذا كله من فضل الله ، أنا لا أكفر بنعم الله و لكن العالم لا يقيم له وزناً كبيراً ، إنما يقيم الوزن الكبير للاخلاق و للمجتمع المثالي ، الانسان إذا دخل في هذا البلد سمع اسم الله تبارك و تعالى ، رأى الناس يخشعون في المساجد ، رأى الناس يخدم بعضهم بعضاً ، إن القادمين من الغرب لا يدهشون إذا دخلوا مطاعنا و فنادقنا ، عندهم أكبر من هذه الفنادق و من هذه المنازل ، و لكنهم هم يحلون و يقدرون و قد يخشعون في بعض الأحيان إذا رأوا هناك حياة صادقة بسيطة بعيدة عن التكاليف و عن التذميق و عن التنافس المادي و عن المظاهر ، الحقائق غالباً على المظاهر ، أما إذا كانت المظاهر غالبية على الحقائق ، فهم الذين اخترعوا هذه المظاهر ، و منهم استوردنا هذه المظاهر و هم أهل البضاعة ، هم لا يقيمون لها وزناً كبيراً ، أما إذا دخلوا هنا و رأوا السكينة تغشى المدينة كلها ، يعني قلوبهم تشعرهم بأنها تشعر بسكينة ، تشعر بالخشوع لله تبارك و تعالى ، تشعر بالاحترام للانسانية ، تشعر بالتواضع و بالبساطة ، هنالك يخضعون و يدخلون في الاسلام أفواجا ، وهكذا دخل الناس في الاسلام أفواجا ، رأوا حياة بعيدة عن مخيلاتهم و بعيدة عن تجاربهم كل البعد ، هؤلاء بشر مثلنا لا فرق بيننا و بينهم يجوعون و يعطشون و يمرضون و يصحون ، هم خاضعون للنواميس البشرية ، و لكنهم كأن هنالك عالماً آخر أمامهم ، تعرفون أن رجلاً أسلم ، و هو جبار بن سلمي ،

و كان مستبعداً أن يسلم ، فقالوا له كيف أسلمت ؟ قال و الله إن قصة إسلامي ، أتى واجهت مسلماً ، اسمه حرام بن ملحان طعنته برمح و دخل هذا الرمح من جانب و خرج من جانب آخر ، فلما خر صريعاً ، قال : فزت و رب الكعبة (١) ، قلت ما معنى هذا ؟ هل أنا في حلم أم هذا كاذب ، و الانسان لا يكذب عند الموت ، فإذا كان يكذب في بعض الأحيان فعند الموت لا يكذب ، و ما جرب على العرب الكذب و لا النفاق ، إنما كان النفاق من خصائص المدينة جاء عن طريق اليهود ، هكذا كانوا يفسرون أن الآيات التي نزلت في النفاق و في ذم المنافقين كلها مدنية ، لأن النفاق ما كان يوجد في مكة ، فالطبيعة العربية ضد النفاق و ضد الكذب ، إنه استغرب و حار : طعنت رجلاً برمح و دخل الرمح من جانب و خرج من جانب ، و خر صريعاً يشحط في دمه ، و يلفظ نفسه الأخير ، إنه أيقن أن زوجه ستكون أرملة ، و أبنائه سيكونون أيتاماً ، إنه حرم كل لذة في الدنيا ، فكيف يقول : فزت و رب الكعبة ، ما هذا الفوز ؟ قال له فسّر لي السبب و معنى الكلمة التي قالها ، فقيل . . . إنه كان يشير إلى الجنة ، إنه يعتقد و يؤمن بأنه إذا قتل في سبيل الله فانه يدخل الجنة ، فانه يكون مستحضراً لهذه الجنة و ناظراً إليها ، فقال فزت و رب الكعبة ، فأسلمت ، يقول هذه قصة إسلامي عرفت أن وراء هذه المظاهر عالماً آخر ، أن وراء هذه الحقائق التي آمننا بها و سلمناها ، و بنينا حياتنا كلها عليها ، أن وراء هذه الحقائق حقيقة أكبر منها ، وهي حقيقة الايمان بالله تبارك و تعالى ، و حقيقة وجود الله تعالى و الجنة و النار و الثواب و العقاب ، فكان هذا سبب إسلامي . . .

هذا الذي يحتاج إليه العالم الآن ، تجارب جديدة ، مشاهدات جديدة ، مشاعر

(١) راجع للداية و النهاية ج ٤ ص ٧٠ - ٧٢ ، دار الفكر ، بيروت .

جديدة و مغامرات جديدة ، اكتشافات جديدة ، أما هذه المظاهر فهما تضخمت المدنية و مهما بلغت أوجها ، و بلغت إلى ما لا نستطيع أن نتصوره الآن ، يمكن أن تصل المدنية إلى أكبر قمة بعد قليل ، و لكن هذا لا يدهش الانسان الغربي و لا الانسان المادي و لا الانسان غير المسلم ، الهندوسي مثلاً ، المجوسي و النصراني ، إنما تحمله على التفكير من جديد ، و على استئناف النظر ، و على قلب التصورات و المسلمات ، هو شئ ما كان يحلم به و ما كان يصدقه ، و هو أن الرجل الذي هو على عتبة الموت ، بل قد عانقه الموت ، يقول فزت و رب الكعبة ما معنى الفوز ؟ إنهم عندهم مقاييس معدودة للفوز ، ما هو الفوز عندهم ؟ تملك أكبر قدر من المال ، تملك أكبر قدر من القوة السياسية ، إعتلاء كرسي للحكم ، النفوذ في العالم الخارجي ، الشهرة العالمية ، الشرف و الكرم ، حفلات تكريمية ، ما كان عندهم قياس و لا افتراض لمثل هذا الفوز ، يموت الانسان و يفارق كل شئ في هذه الحياة ، يفارق كل لذة في هذه الحياة ، و يعود لا يملك شيئاً ، و يقول فزت و رب الكعبة ، هذه الكلمة فعلت في قلب هذا العربي الذي أسلم ، عملت في قلبه هذه الكلمة و في محو و في عقله ما لا تعمل كتب كثيرة ، بل مكنت عظيمة من الاستدلال و من الدلائل العقلية و العلية ، هذا الذي يحتاج إليه الانسان اليوم ، و أكثر ما ينظر إليه العالم ، وحق له أن ينتظر هذا من هذه الجزيرة العربية و من البلاد العربية مثل الشام الحبيب المسلم ، و مصر كنانة الاسلام و العراق بلاد الرافدين ، و غير ذلك من البلاد العربية ، أولاً ينتظر العالم أن يتعرف بهذا في هذه البلاد ثم ينتقل هذا إلى بلاد المسلمين الأخرى . . .

أنتم أيها السادة و الحمد لله موضع ثقة و أنتم الموجهون ، أنتم القادة ، نسعى كلنا في إيجاد هذا المجتمع الاسلامي في أي بقعة من بقاع العالم ثم لا يكون هذا

« الانتريولوجيا و المعيار الاسلامي »

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » بالرياض

كلما اتسعت ثقافة الامة الاسلامية على بلاد الغرب ، كلما كانت الآثار الانعكاسية على الثقافة و التربية و التعليم و الافكار ظاهرة ، و نتائجها في العلوم العقلية و الفكر مرتبط بالمصدر الذي جاءت منه ، فالمسلمون في حضارتهم أثروا في الغرب عن طريق الأندلس في أمور كثيرة .. لكن الآثار انعكست على الفكر الاسلامي في القرن العشرين أكثر . . لأسباب ، منها : عدم تحصين المسلمين ، و عدم فهمهم جيداً لما ترمى إليه تعاليم دينهم ، و لأن الذين ذهبوا لتلقي العلوم هناك هم من صغار السن و للرغبة في العودة بشئ جديد ، تقليداً للآخرين ، و تعالياً على المجتمع الذي عاش فيه الفرد . . من باب خالف تعرف .

إلى غير ذلك من الأمور التي ظهرت آثارها في المجتمع الاسلامي فكراً و أفذاً ، و نفوراً من كل شئ قديم ، و كلفة « قديم » ، هذه يدخل تحتها الدين و تعاليمه و شرائعه و مثله التي تمرد منها و عليها أولئك ، و عاشوا في ضياع ، و أرادوا للمسلمين مجاراتهم في ذلك كما قال تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

و علم الانتريولوجيا : الذي يعني خصائص الانسان ، قد بنيت أسسه و نظرياته على قواعد مادية ، و تحدث المهتمون به من منطلق علماني صرف ، و اهتم الباحثون فيه في طرح ما يريدون نشره بنقد تعاليم الدين ، و التفسير من الشرائع الربانية ، ثم عرض النصوص الشرعية على منطلقات تنبعث من الأهواء ،

شيثاً مغموراً بل يعلم العالم جميعاً أن هناك مجتمعاً إسلامياً ، هنالك يتهافت الناس عليه تهافت الفراش على النار ، نعم ، لأن العالم الآن يملك كل شئ إلا هذا ، هذه النقطة التي أريد أن ألفت نظركم إليها قبل أن أغادر هذه البلاد ، أتركها أمانة عندكم ، فأنتم موضع أمانة و ثقة ، إنكم من فوق المنابر و من حلقات الدروس توجهون المستمعين إلى أن يحيوا حياة إسلامية كاملة ، وحدة كاملة لا وحدات مبعثرة ، وحدات متناقضة ، مسلم في العقيدة ، و لكنه نازل هذه المنزلة من المعاملات في الأخلاق في التجارة ، في الوظيفة ، في الجوار ، لا ، مسلم من العقيدة إلى الكلام مع الناس و إلى المشي في الأسواق ، و إلى قضاء الحياة ، مسلم من أوله إلى آخره ، هذا الذي افتتح به هذا المجلس (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا) استقاموا ، ومعنى الاستقامة الشمول ليس معنى الاستقامة الثبوت فقط بل يدخل في معنى الاستقامة الثبوت و الشمول ، هؤلاء هم المستقيمون الذين تشمل حياتهم كل جوانب الاسلام ، العقائدية ، و الخلقية ، و العملية و الاقتصادية ، و السياسية و الادارية .

هذه كلمتي التي حضرتني الآن ، و في الحقيقة أعتذر اليكم إذا كنت قد تخطيت بعض الحدود ، و ما عرفت قدرى ، و ما عرفت نفسي و من أخاطبهم ، الله سبحانه و تعالى يعفو عني و تسامحونني كذلك ، و أدعو الله تبارك و تعالى أن يفرعوننا برؤية هذه الحياة الاسلامية الكاملة في هذه البلاد الحبيبة المقدسة ، و يعيد جميع البلاد الاسلامية إلى الاسلام الكامل الحنيف ، و يرد ما ضاع من أيدي المسلمين ، و يعيد للمسلمين مرة ثانية ، و يوفقنا للمحافظة عليها و أداء حقها .

و تستند على الجدل ، يراد بها هدم القيم و الاخلاق و المثل التي رسمتها تعاليم الديانات السماوية التي جاءت من عند الله ، و فيها صلاح البشر العاجل و الآجل سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه ، يستطيع الباحث أن يعيد هذا الفن إلى اليونان و الاغريق ، حيث نشأت الفلسفة ، و توسع القوم في المناقشات الجدلية ، بعد أن تبللت الأفكار لكثرة تعدد الآلهة عندهم حيث بلغت أكثر من خمسة وعشرين إلهاً ، فنشأ خواء فكري و نفور من العبادات التي تعددت مذاهبها ، وأهواء الداعين إليها ، و قد أبانت تلك الصورة آية كريمة من كتاب الله في الحوار مع الداعين لآلهة متعددة غير الله ، أو مع الله : « ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق و لعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون » [المؤمنون الآية ٩١] .

و كاد أن يطل هذا المعتقد برأسه عند العرب في العراق و الأندلس بعد ما ترجحت العلوم ، و منها الفلسفة في العصر العباسي حيث انحرف بذلك كثير من فلاسفة المسلمين ، و لكن الله سلم و حفظ المجتمع بقوة الاسلام ، و قدرة علمائه بما أعطاهم الله من علم و صدق فأوقفت ذلك الزحف ، و حصرتة في نطاق ضيق .

ثم اتسع نطاقه في أوروبا ، و خاصة بعد أن ضعف سلطان الكنيسة ، و قوى دعاة العلمانية بعد الثورة الفرنسية ، و بعد ما انتشرت لديهم فكرة إبعاد الدين عن العلم ، لعدم انسجام أحدهما مع الآخر حسب المقالة المشهورة عندهم : « دع ما لقيصر لقيصر ، و ما لله لله » ، فرفع اليهود رؤسهم ، و أولوا بنظرياتهم الكثيرة بهدف القضاء على الهيمنة الدينية النصرانية ، و بدأوا في التقنين لكثير من العلوم ، و التوسع في النظريات ، و منها هذا الفن . . فكان له دور في التمرد على الشرائع و ما تدعو إليه كما يلبس آثار ذلك في بلاد الغرب .

و قد ركز دعاة هذا المذهب العلمي على المرأة ، رغبة في تحللها و نبذها للثاليات بأسماء كثيرة و شعارات متعددة : كالمشاركة في بناء المجتمع ، و المساواة ، و رفع الظلم ، و أخذ الحقوق إلى آخر القائمة التي تتألف حول عمل المرأة و مشاركتها في مناحي الحياة لتتزع الحياء منها ، و تجعلها دمية يتلهى بها الرجل . . فكان الحياء الذي هو سمة إيمانية للمرأة ، و الحجاب الذي يمثل الحشمة و الوقار ، و العفة التي هي زينة المرأة و غير ذلك من الصفات التي رسمتها أوامر الاسلام ، و امتثلت بها التعاليم الشرعية في الديانات السماوية السابقة للاسلام كما أبانه القرآن الكريم في قصة بنات شعيب ، و بنات لوط ، كل هذه الأمور كانت قذية في عبور أعداء الله ، و أعداء دينه ، فكان همهم إفساد المجتمعات بواسطة هذا المدخل كما فسدت بيئاتهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عن النساء بأنها فتنة بني إسرائيل .

ولذا كانت ركائز هذا العلم : الأنثروبولوجي الدخول إلى المجتمع من مطامع النفس البشرية وأهوائها ، في جدل يقر الأمور لتفسير ما يسود المجتمع الاسلامي ، بأنها تتناقى مع المنطق ، و راحة النفس ، و أن النصوص التي لا تتجاوب مع النظريات المبنية على الأهواء ، المتمثلة في عرض الأمور على ما هو سائد ، فإنها تقف حجر عثرة في سبيل التقدم الحضاري ، و يعنون بذلك : حجاب المرأة ، الربا ، الحرية الشخصية في العلاقات بين الجنسين . . و غير هذا من أمور يجدها كل من يتابع آراء الأنثروبولوجيين من عرب و غربيين و غيرهم ، في محور نقاشهم ، و موطن بحوثهم و تركيز همهم .

و ما أدركوا أن تلك النظريات من وضع البشر الذين سمتهم القصور و النقص ، و أنهم يريدون هدم ما جاء عن الله و على السنة رسله بأعمالهم تلك

وأن القوى لا ينهدم وإنما تنكسر أمامه والمعاول التي تريد هدمه .. فهو الأصلح ، و البقاء دائماً للأصلح ، و صدق الله إذ يقول : « و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، [النساء الآية ٤٢] و ما أحسن مقالة الامام مالك : كل يؤخذ من قوله و يترك إلا صاحب هذا القبر ، يعني بذلك رسول الله ﷺ ، و الأنثروبولوجيون عند ما يركزون في واحد من مداخلهم على المرأة ، فانما هي نقطة ضعف يريدون تسليطها على المجتمع الاسلامي ، لكي تنفلت من تعاليم الاسلام ، و تدفع الآخرين من الرجال من ذوى القلوب المريضة ، ليسندوها في هذا الاتقلات ، لما لذلك من فتح باب فتنة خشيا المصطفى ﷺ على أمته بقوله : « ما تركت فتنة أضر على أمتي من النساء ، و في لفظ : « اتقوا النساء ، و مثلها فتنة المال و التنافس فيه و جمعه من مطالب و تزيين الأنثروبولوجيين ، لما فيه من إفساد للمجتمع ، و فتح لمناقد الشرور .

وقد لفت نظري هذا الأمر بعد ما وقع بين يدي بحث عن الحجاب من إعداد : اليزايث ، و فيرنيا ، و هي باحثة بجامعة تكساس بهيوستن ، تعمل في دراسات الشرق الأوسط ، و روبرت فيرنيا و هو بروفييسور في الأنثروبولوجيا بجامعة تكساس بهيوستن ، يعمل في دراسات الشرق الأوسط ، نشر هذا البحث في مجلة من مجلات البيولوجيين الرسمية المحكمة ٨٤/٨٥ و اسمها : Anthropology 84/85 ويقع البحث في خمس صفحات و زين الغلاف بالصليب و جمجمة ، و قد استخف الباحثان بالحجاب في العالم الاسلامي ، و استخفا استخدام المرأة المسلمة للحجاب و قالوا في ذلك البحث : إن من يلبس الحجاب هو من النساء اللاتي يبحثن عن الجنس « البغايا » ، و وصف العالم الاسلامي بأن فيه الكثير من ذلك النوع ، و عللا ذلك : بأن كثيراً من النساء تلبس الحجاب لانهن لا يردن أحداً

يعرفن عند ما يذهبن إلى أصدقائهن و عشاقهن .. إلى غير ذلك مما جاء في ذلك البحث من سموم و مغالطات ، و قد استشهدا بآراء الأنثروبولوجيين غربيين و عرب ، و مجدوا أقوالهم ، و من العرب : هدى الشعراوى ، و ناديا أبو زهرة ، و باسمه بزرقان ، و أحمد أبو زيد و غيرهم .

و مؤسف أن يكون في ديار الاسلام عدد كبير من هؤلاء الأنثروبولوجيين رجالا و نساءً و أن تفتح كثير من الجامعات أبوابها لهذه النظريات و روادها ، و منظرى هذا العلم ليثوا سمومهم ، و يشككوا المسلمين في دينهم ، و المخططون لهذا لا شك أنهم يسرون خلف مبادئ و صفت لهم ، بأن الدين لا يهدمه إلا أبناؤه ..

و لذا كان التركيز على أبناء المسلمين في البعثات الدراسية ، ليكونوا خير معين في بث مثل هذه الأفكار في ديار الاسلام .. و الدراسات المتخصصة في هذا المجال تشيد بمن خدم هذه الفكرة من أبناء المسلمين ، كهدى الشعراوى التي ورد ذكرها في هذا البحث ، و رفاعة الطهطاوى الذي رافق أول بعثة أرسلت من مصر لفرنسا ، و قاسم أمين الذي خدمهم في نزع الحجاب من على المرأة المصرية ، و أحمد لطفى السيد الذى دس سموماً كثيرة ضد الاسلام و تعاليمه ، و لويس عوض ، و سلامة موسى اللذين تبنيا أفكار و آراء الأنثروبولوجيين ، و نشرهما في المجتمع المصرى تأليفاً و فكراً و مقالات و غير ذلك .

و بالمقابل فاننا يجب أن نتسلح ضد هذا العلم و أمثاله من الفنون الأخرى ، التي أحدث انتشارها في المجتمعات الاسلامية بليلة و تشكيكا : لأن الشباب يريدون معرفة كل جديد ، و التعلق بكل فن مستحدث ، أو علم مقنن ، و إيراد الأبواب قد يحدث رد فعل معاكس لأن كل ممنوع متبوع ..

لذا فان العلماء و المفكرين مدعوون إلى التعرف على جزئيات هذا العلم و غيره ، و وضع نظرياته في قالب إسلامي بتعديل المروج ، و تنفيذ الخطأ ، وإحلال البدائل الثابتة مكان النظريات المشككة .. و هذا ما يسمى بأسلمة المعرفة ، وإن كانت الدعوة لأسلمة المعرفة أشمل لأنها تعنى جميع العلوم والمعارف ، ولكن المهم هو الأساس و هو ربط العلوم بالمنهج السليم الذي رسمه الاسلام ، وبقدرة الله جل و علا .

إن الدخول لكل علم من مدخل الاحاطة أمر مهم للمجتمع الاسلامي ، إلا أنه يجب الاستفادة منه تعليماً و إعلاماً و فكراً مبنوئاً محاطاً بغلاف إسلامي في المقصد والعرض ، حتى تنافس فكرهم بفكرنا ، وحتى ندخل إليهم من نظرياتهم العقيدية ، بعلم رصين ، و حقائق ثابتة ، و عقيدة راسخة .

و اتن غزونا بالباطل ، فيجب علينا رد ذلك الباطل إليهم حقاً و اضحاً ، و تعريفهم بمدخل الحقيقة وبرهانها و تقديم ذلك لابناء المسلمين في منظور يدعو للاعتزاز و الفخر ، لا ثبات أن ديننا لا يتعارض مع العلم ، و لا يقف جامداً أمام التقدم ، و إنما يدعو للعلم الحقيقي المقرون بالبرهان الساطع و الدليل القاطع و كل ما جاء عن الله و عن رسوله فهو عظيم يقينى لامراء فيه و لا شك في نتيجته .

و بمنظور ديننا الاسلامي و براهنه ، سوف يثبت للجميع نظرتة العميقة ، و نتائجه البعيدة في مخاطبة العقول ، و التوجيه السليم لكل خير .. إذ أمثال أقوال الأنتريولوجيين لم تكن جديدة مع علوم هذا العصر ، لكنها قديمة قدم التشكيك في الحق و الدعوة إلى الباطل ، و لا تنشط إلا مع النقص الايماني ، و البعد عن مصادر الشريعة فهماً و عملاً و استظهاراً ، ألم يقل جل و علا لرسوله

الكريم ﷺ منذ خمسة عشر قرناً : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، [الانعام الآية ١١٦] ، ويقول سبحانه : « فلا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً ، [الكهف الآية ٢٨] .

و كل أمر يراد به مناقضة الدليل الشرعي فهو من اتباع الهوى ، ونظريات البيولوجيين في الأعم الأغلب من هذا النوع ، و اتباعها و الدعوة إليها مما يفسد المجتمع ، و يقضى على المثل ، كما قال سبحانه : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض و من فيهن ، و أبان الله الحجة على هؤلاء و تعمدهم الاضلال و الافساد بقوله : « بل آتيناكم بذكرهم فهم عن ذكر ربهم معرضون ، [المؤمنون الآية ٧١] .

دارون و نظرية التطور :

كانت نظرية دارون في النشوء الارتقاء تبنى على توزيع الكائنات الحية إلى فضائل ، و منها فضيله الفقريات التي منها الانسان و القرد و غيرها ، و قد أعاد في زعمه هذا أصل الانسان إلى القردة . و اهله بذلك يريد محو عار لحق بني جلدته اليهود ، عند ما عاقب الله من اعتدوا في السبت فجعلهم جل و علا قردة و خنازير ، و هذه واحد من نظريات الأنتريولوجية التي ثار ضدها علماء الأحياء في بلاد الغرب ، قبل أن يناقشها علماء المسلمين ، و يعرضوها على النصوص الشرعية لا تحتل التأويل بكال خلقة الانسان و استقامته ، و تسوية أعضائه .

و لكي يثبت التطوريون نظريتهم في محاولة لاقتناع الآخرين بسلامة ما يدعو إليه دارون ، تراهم يبتغون أساطير حول : إنسان جاوا ، و إنسان بلتداون ، و إنسان بكين ، كلها مزورة ، يقول أحد علماء الغرب : إن نظرية التطور هي النظرية الوحيدة في تاريخ العلم التي خالطها عمليات تزوير عديدة و عن قصد من قبل مؤيديها و أنصارها ، ولم تكن عملية تزوير إنسان بلتداون عملية التزوير الوحيدة بقصد إثبات صحة نظرية دارون .. و عدد أشهر هذه العمليات و بيان موطن

الزيف فيها وهي : ١- إنسان نبراسكا ٢- تزوير صور الاجنة ٣- إنسان جاوا .
و في كتاب دارون ونظرية التطور مناقشات علمية من بعض علماء الغرب
و توضيح و متابعة لما في الاسس التي بنيت عليها النظرية من تزوير و زيف ،
و خداع ثم بمهارة و من قبل أناس محترفين حيث تبين أن الجمجمة تعود إلى
إنسان معاصر ، أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات ، والأسنان
هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي و ركبت على عظام الفك ، و ظهر
كذلك أن العظام عوملت بمحلول ديكر ومايت البوناسيوم لاحداث بقع للتمويه
و إعطاء شكل قديم لها .

يقول صاحب كتاب ، في نظرية التطور : بالرغم من انقضاء ربع قرن على
اكتشاف التزوير في موضوع إنسان بلتاون ، فلا تزال هذه الحادثة حديث
مجالس العلم في الغرب حتى الآن ، و قد يكشف عن الشخص الذي كان وراء
عملية الخداع هذه ، أو لا يكشف عنه ، و هذا لا يهم كثيراً و لكن المهم هو
أن هذه الحادثة سلطت الضوء على حقيقة معروفة ، و هي أن العلماء ، شأنهم
شأن الناس الآخرين ، معرضون للخطأ ، فكما يستطيع محتمل محترف ، خداع رجل
بسيط ، فيبيع له برج المدينة ، أو يخدع البنك المركزي بسندات مزيفة ، كذلك
من الممكن خداع أشهر العلماء و أكثرهم صيتاً ، ولكن بشرط أن يكون المحتمل
على علم تام بنقاط ضعف شخصيته ، و ترتيب لعبته وفق ذلك .. و هذا ما كان
يتحلى به أصحاب هذه النظرية ، و ما يقدمونه من براهين تؤيد ما يدعون إليه [ص ٨١] .

إن مناقشة جزئيات الأنتريولوجيا ، و ما يسيرون خلفه يحتاج إلى عدة
جولات و بحوث ، مقرونة بالدليل العقلي و العلمي من بيئاتهم و آراء المعارضين
للفكرة .. ثم مناقشة الأمور من منظور إسلامي مجلي بالدليل النقل من كتاب الله
و سنة رسوله ﷺ .. و لعل ذلك يتاح في فرصة أخرى .

و الله الموفق

الغزالي و فلسفته الاخلاقية :

ارتباط نظرية الغزالي

في الاخلاق و التربية بعقيدة التوحيد

الدكتور الحافظ احسان الحق

قسم اللغة العربية ، جامعة كراتشي

نستطيع أن نقسم عمل الغزالي بين جزئين :

١- مقاومة سيل الفلسفة و الباطنية و محاربتها بادلالة الحاسمة حتى يتحقق
الاتصار للعقيدة الاسلامية الصافية .

٢- نقد الانحلال الخلقى و انهيار القيم الاخلاقية في المجتمع المسلم واتخاذ الطرق
الاصلاحية لرفع مكانته أخلاقياً و روحياً .

ضرب الغزالي على مبادئ الفلسفة اليونانية و الباطنية الملحدة ضرباً قاسياً
اللتان كانتا تهزان كيان الفكر الاسلامي هزاً عنيفاً فقام بالعملية الجراحية للفلسفة
و كشف الستار عن ضعفها و هوانها و قلة استدلالها أمام الشريعة المطهرة ، و قد
اكتف العلماء قبل الغزالي على دفاع الشريعة المطهرة ضد الفلسفة اليونانية فقط ،
و لم يجرؤ أحد منهم على هدم مبادئها لأن لا يبقى المجال لوقوف العدو ، بل
ظهرت هناك طائفة مضلة (إخوان الصفاء) في أواخر القرن الرابع ساجدة
أمام كبرياء الفلسفة تعتقد الشريعة ناقصة بدون مسانبتها ، فنادت .

« إن الشريعة قد دنست بالجهالات ، و اختلطت بالضلالات ، ولا سبيل
إلى غسلها و تطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية و المصلحة
الاجتهادية و لأنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية و الشريعة المحمدية فقد حصل الكمال » (١)

(١) أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، الجزء الأول ص ٢٢٣ مطبوعة مصر .

كما أننا نرى اليوم أن بعض المتجددين منا يناشدون لاختلاط الحضارة الغربية بحضارة الاسلام لئلا تتخلف عن مسيرة الركب الحضاري اليوم ونقف جاثرين في الطريق إلى الامام نظراً إلى تقدم الأمم المتحضرة، ولكن هؤلاء الحكماء المنثورون بالحضارة الغربية يجهلون الحقيقة إن شريعة الله خالدة لا تبلى بتقلبات الأزمان ولا تطرأ عليها القدم يتقدم الحضارات كما قال الشاعر الاسلامي الكبير علامة إقبال -
زمانه ايك حيات ايك كائنات بهي ايك

دليل كم نظري قصة قديم و جديد
ترجمة (و كيف يأتي القدم على رسالة الله الخالدة) وإن الزمان واحد ،
و الحياة واحدة ، و الكون واحد ، أما البحوث حول القديم و الجديد
فهى بحوث تافهة .

فوقف الغزالي وقفة صامدة ضد تيار الفلسفة اليونانية و جعلها خاوية على
عروشها ، فعرض موقفها كباحث أمين في كتابه مقاصد الفلاسفة لخص فيه نظريات
المنطقيين ، و الالهيين ، و الطبيعيين و دون مباحثهم و دلائلهم بدون تحير ، ثم
جاء نكتاب آخر تهافتة الفلاسفة نقد الفلسفة والفلاسفة فيه نقداً شديداً . فلم تكن
لهجة الامام في هذا الكتاب لهجة الاعتذار والدفاع بل كانت لهجته لهجة المبارز
الباسل المدمر لقصر الفلسفة الشاخ ، فيقول -

« قلنا ما ذكرتموه ، وهى على التحقيق ظلمات فوق ظلمات ، لو حكاها
الانسان عن منام رآه لاستدل على سوء مزاجه . » (١)

ثم يقول .

« لست أدري كيف يقنع المجنون من نفسه بمثل هذه الاوضاع فضلا

(١) الغزالي تهافتة الفلاسفة - مطبع اعلامية مصر - ص ٣٠ .

عن العقلاء الذى يشقون الشعر بزعم في المعقولات . (١)
ثم ينتقد على تصور الاله عند الفلاسفة انتقاداً شديداً وقولهم إن العقلاء
يستغنون عن طاعة الانبياء و الرسل يقول :

« انتهى بهم التعمق في التعظيم (المبدأ الأول) إلى أن أبطلوا كل ما
يفهم من العظمة وقربوا حاله من حال الميت الذى لا خبر له بما يجرى في العالم
إلا أنه فارق الميت في شعوره بنفسه فقط ، و هكذا يفعل الله بالزائفين عن
سبيله والناكبين عن طريق الهدى المنكرين لقوله تعالى ما شهدتهم خلق السموات
و الارض ولا خلق أنفسهم الظانين بالله ظن السوء المعتقدين إن الربوبية يستوى
على كنهها القوى البشرية ، المغرورين بعقولهم زاعمين ان فيها مندوحة عن تقليد
الرسل و اتباعهم فلا جرم اضطروا إلى الاعتراف بأولى الالباب معقولاتهم
رجعت إلى ما لو حكى في المنام لتعجب منه . » (٢)

هكذا قام الغزالي بتشريح الفلسفة بأسلوب صارم حتى أزاح غبارها عن
الوجه الاسلامي المشرق ، وكان الغزو الفكرى ضد الفلسفة من عمله الرائد الذى
بلغ إلى ذروته في عهد شيخ الاسلام ابن تيمية في القرن الثامن من الهجرة حينما
ألف كتابه الشهير « الرد على المنطقيين » فأثبت عدم توصل الفلسفة إلى الحقائق
الغيبية التى أخبر بها الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، لأن الفلاسفة يضعون
أساس تفكيرهم على المدركات العقلية بينما الرسل يدعون إلى علم حقيقى مبنى
على الوحي الربانى لأن مبدأ العلم الحقيقى هو الله ، « بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمهم ولما يأتيهم تاويله » ، « و ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن » ،

(١) نفس المصدر . ص ٢٢ .

(٢) نفس المصدر . ص ٣١ .

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » .
الرد على الباطنية :

و قد توجه الغزالي إلى فتنة الباطنية فردها بكتاباتهِ القيمة أثناء قيامه ببغداد وخلال تدريسه في الجامعة النظامية، وهو جدير بأن يستأصل هذه الفتنة استيصالاً كاملاً ، لأنه كان متحلياً بالفلسفة العقلية و العلوم الدينية معاً فيدرك إدراكاً تاماً لعقلية الباطنية و مؤامرتها العقيدة الشريعة ، هذه الفئة تستند في معتقداتها إلى الفلسفة و تحيل ظاهر الشريعة إلى الباطن و تحرف الكلم عن مواضعه ، و تختار ما تشاء من المعاني لكلمات الله و رسوله ، وكان الغزالي متسلحاً بنفس الأسلحة فكشف الغطاء عن تحريفها و ضلالتها و كتب كتابه الشهير في رد الباطنيين « المستظهرى » بناء على طلب الخليفة مستظهر بالله ، و من مؤلفاته غير هذا الكتاب « حجة الحق » و « مفصل الخلاف » و « فضائح الإباحية » و « مواهم الباطنية » .
الانجاز الاصلاحى :

أما المنجزات الاصلاحية للجمع المسلم فهو كتابه « احياء علوم الدين » الذى وضع فيه نظرياته العلمية فى الاخلاق و التربية فى شرح و بسط ، فأصبح مرجعاً للعلماء و الباحثين فقام بتخريج أحاديثه حافظ زين الدين العراقى (٨٠٦) و اعترف بعظمته حافظ ابن الجوزى و لخصه فى كتابه « منهاج القاصدين » مع أنه اختلف من آرائه فى بعض المسائل .

و إنه وضع فى هذا الكتاب النظام الكامل فى الاخلاق و التربية و ربط علاقة العلم بالاخلاق فواسع دائرته و أكد أن العلم بدون الاخلاق و التربية لا يقنى عن الانسان شيئاً ، و قد تعود من نوع هذا العلم النبى ﷺ فقال : اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع و نفس لا تشبع و علم لا ينفع » .

ارتباط نظرية الغزالي فى الاخلاق و التربية بعقيدة التوحيد

فقسم العلم فى نوعين ظاهر و باطن ، و للظاهر قسمان معاملة بين العبد و بين الله تعالى ، و معاملة بين العبد و بين الخلق ، و للباطن أيضاً قسمان ، أولاً ما يجب تزكية القلب عنه من صفات مومة و ما يجب تحلية القلب به من صفات محمودة ، فقال فى خطبة كتابه « احياء العلوم » .

« و لقد أسسته على أربعة أرباع ، ربع العبادات ، و ربع العادات و ربع المهلكات . و ربع المنجيات ، أما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب ، قواعد العقائد ، و الطهارة و الصلاة ، و الزكاة ، و الصيام ، و الحج و تلاوة القرآن ، و الاذكار ، و الدعوات ، و الأوراد فى الأوقات .

و أما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب . آداب الاكل و النكاح و الكسب و الحلال و الحرام و الصجبة و العزلة و السفر و آداب السماع و الوجد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و أخلاق النبوة .

و أما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

شرح عجائب القلب و رياضة النفس و آفة الشهوتين البطن و الفرج و آفة اللسان و آفة الغضب و الحقد و الحسد و كتاب ذم الدنيا و ذم البخل و المال و ذم الجاه و الرياء و الكبر و العجب و كتاب الغرور .

و أما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً ، التوبة ، الصبر و الشكر ، الخوف و الرجاء ، الفقر و الزهد ، التوحيد و التوكل ، المحبة و الشوق و الرضاء . النية و الصدق و الاخلاص ، المراقبة و المحاسبة ، و التفكير ، و ذكر الموت .

فاذا نظرنا إلى هذا التفصيل من العناوين المذكورة لوجدنا أنه جميع بين العقائد و العبادات و المعاملات و الاخلاق و السيرة فى هذا الكتاب لا يستغنى عنه المسلم فى أى وقت .

أما أسلوب الغزالي في كتابه فيمتاز بأسلوب نقدي وإصلاحى ولكن لا نعتبر هذا النقد نقداً لاذعاً بل هو يدعو إلى التفكير والتدبر في الأعمال، يميل الانسان إلى أن يخوض داخل ذاته ويبحث عن سيئاته و اعوجاجه في السلوك، و من أسلوبه النقدي أنه يوضح أسباب الفساد في المجتمع و مكاييد النفس و الشيطان، و تحريف المفاهيم الدينية و إثارة الناس حياة الدنيا على الآخرة، كما انتقد على طبقات المجتمع قدم بخل الأغنياء و ظلم السلاطين و الأمراء و بين ما شاع من البدع و التقاليد السيئة بين المجتمع، و يضع المسؤولية الكبرى على عواتق العلماء للانحلال الخلقي و الفساد العام في المجتمع فيقول:

« الثالثة و هو الداء العضال الذي فقد الطبيب، فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضاً شديداً و عجزوا عن علاجه . . (١) و كذلك أنتقد الحكام بأنهم يهملون مسؤولياتهم تجاه الأمة ولا يقومون بواجبهم فيقول:

« و بالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك فلو لا القضاة السوء و العلماء السوء لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم . (٢)

و أما أسلوبه، فهو أسلوب داعية يدعو إلى الله بصدق النية و الاخلاص يستلهم أجراً بل يطلب من الله لهم السعادة الأبدية، سعادة في الدنيا و الآخرة إن شجرة الاخلاق و التربية عند الغزالي لا تنبت في الهواء بل لها جذور دساسة في أعماق الانفس كان أصلها ثابت و فرعها في السماء، فهو يربط الاخلاق و التربية بالعبادة كي لا يتردد الانسان لتقديم التضحية لاعلاء القيم الروحية و الاخلاقية،

(١) الغزالي - الاحياء ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٥٤ .

فترفع نظريات الغزالي بمذهب المنفعة (Utilitarianism) الذي يدعى أن تحقيق أعظم الخير لأكبر عدد من الناس يجب أن يكون هدف السلوك البشرى، وإن الأعمال صالحة إذا كانت نافعة، هذه النظرية للاخلاق لا تقوم على أساس دائم، بل تتغير فيها القيم الروحية و الاخلاقية حسب تقلبات الأوضاع في المجتمع البشرى، أما نظرية الغزالي للاخلاق و التربية فهي تقوم على الأساس الدائم لعبقيرة التوحيد و الآخرة، و هذه العبقة تجعل الانسان قادراً على أن يتمسك بنظام الاخلاق و التربية الذي منحه الله سبحانه و تعالى فالانسان يطيع أوامرهِ طوعاً في السر والعلن، لأنه يعتقد أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر هو معهم أين ما كانوا، و كذلك عبقة الآخرة أيضاً تجنب الانسان عن مخالفة نظام الاخلاق و التربية الالهى لأنه يؤمن إيماناً إنها ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صحرة أو في السموات أو في الأرض يات بها الله، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، و من يعمل مثقال ذرة شراً يره . » يقول الغزالي:

فحتم على كل ذى حزم آمن بالله و اليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه و التضييق عليها في حركاتها و سكناتها و خطراتها و حظواتها فان كل نفس من أنفاس العمر جوهره نفسية لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقضاء هذه الانفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل . (١)

وسئل ذو النون، بم ينال العبد الجنة؟ فقال بخمس: استقامة ليس فيها

(١) الاحياء: ج ٢: ص ٢٢٧ .

روغان ، و اجتهاد ليس معه سم ، و مراقبة الله تعالى في السر و العلانية ،
و انتظار الموت بالناهب له و محاسبة نفسك قبل أن تحاسب و قد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت و لكن قل على رقيب
لا تحسبن الله يغفل ساعة ولا إن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب و إن غدا للناظرين قريب (١)

فيؤكد الغزالي تزكية النفس ، لأن ملاك حسن السيرة و الأخلاق صفاء
النفس و القلب « قد أفلح من زكاه ، و قد خاب من دساها » ، و كما قال عليه
الصلاة و السلام ألا إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا
فسدت فسدت الجسد كله ، ألا وهي القلب يقول الغزالي :

« اعلم إن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك و قد خلقت إماراة بالسوء
ميلاة إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى
عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها و فطامها عن لذاتها ، فان أهملتها جمحت
وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك و إن لازمتها بالتوبيخ و المعاتبة و العذل و الملامة
كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس
المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة
عن تذكيرها و معاتبها » (٢) .

الغزالي يربط الأخلاق بالإيمان و يعتبر سوء الأخلاق من النفاق فيقول :

« اعلم أن كل إنسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى
ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه و حسن خلقه و استغنى

(١) نفس المصدر و نفس الباب .

(٢) الاحياء : ج ٤ ص ٣٥٥ .

عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الإيمان
وسوء الخلق هو النفاق (١) .

ومن مزايا الأخلاق أن الانسان يتصف بصفة الاعتدال :

« قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل و كمال الحكمة
و إلى اعتدال قوة الغضب و الشهوة و كونها للعقل مطيعة وللشر أيضاً » (٢) .

إنه لا يستخدم مصطلح الأخلاق كمصطلح تجریدی بل هو ينبه على المواقف
التي تقضى على أخلاق الانسان فيشرح في كتابه جميع الأمراض القلبية و معالجتها
بالتزكية و التهذيب و يؤكد أن آفات اللسان من قصول الكلام و الخوض في الباطل
و المراء و الجدال و الغيبة و الكذب و الفحش و البذاءة و ما إلى ذلك من
آثام اللسان ، و كذلك يذم الغضب و الحقد و الحسد و البخل و الرياء و الكبر
و العجب و هذه هي الرذائل الأخلاقية العالمية تدعو إلى التجنب عنها جميع
تعاليم السماوية و ضمائر الانسان الحية .

و بجانب ذلك يؤكد على التحلي بفضائل الأخلاق العالمية من الصبر
و الشكر و الرجاء و التوكل و الاخلاص و الصدق و ما إلى ذلك من الفضائل
تدعو إليها جميع الأديان السماوية ، فتصور الأخلاق عند الغزالي تصور يشمل
جميع جوانب الحياة و يقوم على أساس العقيدة الدائم ، و إذا تغفل الإيمان في
القلوب فلا تزغزعه الرغبات و الرهبات عن سواء السبيل بل تبت منه شجرة
تزدهر فيها ازهار الأخلاق الحسنة و الفضائل الكريمة دائماً .

نسأل الله التوفيق و السعادة في الدنيا و الآخرة وصل الله تعالى على خير
خلقه محمد وعلى آله صحبه و بارك وسلم .

(١) نفس المصدر : ج ٣ ص ٦٧ .

(٢) نفس المصدر : ج ٣ ص ٥٦ .

النظام في الاصطلاح :

هو من اطلاقات العصر الحديث .

و قد عرفه البعض : « إنه مجموعة الاحكام التي اصطلح شعب ما على أنها واجبة الاحترام ، و واجبة التنفيذ لتنظيم الحياة المشتركة في هذا الشعب ، (١) . و الاسلام عقيدة المسلمين و نظامهم في شتى جوانب الحياة و يجب الخضوع لاحكامه و الانقياد لها و الرضى بها فقيه صلاح حالهم في دنياهم و آخرهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله : « التحقيق إن الشريعة التي بعث بها محمداً ﷺ جامعة لمصالح الدنيا و الآخرة فقد بعثه الله بأفضل المناهج و الشرائع ، و أنزل عليه أفضل الكتب ، و أرسله إلى خير أمة أخرجت للناس و أكمل له و لامته الدين و أم عليهم النعمة و حرم الجنة إلا على من آمن به ، و بما جاء به ، و لم يقبل من أحد إلا الاسلام الذي جاء به ، فمن ابتغى غيره ديناً فلن يقبل منه ، و هو في الآخرة من الخاسرين ، (٢) .

فالاسلام عقيدة و قواعد أخلاقية و أحكام شرعية ملزمة كل متكامل ، فقد ربط الاسلام أنظمتهم بفكرته الشاملة عن الكون و الانسان و الحياة ، و بوظيفة الانسان في الوجود .. و قد جاء القرآن بمبادئ أنظمة الحكم و الاقتصاد و الاجتماع في طيات آيات التوجيه و التشريع .

❖ ١٩٦١م ج ٢ ص ٩٤١ وفيه ، نظام الأمر ، قوامه و عماده .

(١) الدكتور محمد عبد الله العربي : نظام الحكم في الاسلام ، طبعة بيروت ،

بتقديم الشيخ محمد المبارك ص ٢١ .

(٢) الحسبة في الاسلام ص ٥ .

(١)

بقلم : المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد
(مكة المكرمة)

[ابتداء من هذا العدد سأؤا فيك أخي القارىء - بمجموعة من المقالات حول نظام الحكم في الاسلام على صفحات هذه المجلة الغراء و وجهتها علم الله - لا شرقية و لا غربية بل إسلامية و إسلامية فقط ، و أسأل الله تبارك و تعالى أن يرزقنا الاخلاص في كل ما نأتى و ما ندع حتى يكون في صحائف الحسنات يوم يقال لكل إنسان : « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، كما أسأله سبحانه أن يلمن الصواب و السداد و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ،]

النظام في اللغة :

النظام (بالكسر) هو الترتيب و الاتساق و التأليف و أصله : الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ

و نظمت الأمر فانتظم : أى أقمته فاستقام و هو على نظام واحد أى نهج غير مختلف فيه (١) ، و جمع النظام : نظم و أنظمة و أنظيماً (٢) .

(١) لسان العرب المحيط لابن منظور ، إعداد و تصنيف يوسف الخياط ،

دار لسان العرب بيروت ، ج ٣ ص ٦٦٧ ، و المصباح المنير في غريب

الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد بن محمد المقرئ الفيومي المتوفى ٥٧٧٠

ط . الخامسة ، الأميرية ، ١٩٢٢م ص ٨٤١ .

(٢) المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر ، ط - ١٣٨١م ❖

فالنظم الاسلامية مجموعة الاحكام التي رتبها الاسلام للفرد والمجتمع والدولة في جميع شؤون الحياة تحقيقاً لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، أي في الاسلام بمجموع حياتكم » و لا تتبعوا خطوات الشيطان ، (١) متمثلة في النظام و الاوضاع الأخرى غير الاسلام .
تعريف نظام الحكم في الاسلام :

يقصد بنظام الحكم في الاسلام الاحكام المنظمة للسلطة السياسية و تدبير أهل الاسلام بما يصلح أحوالهم ويدبراً عنهم الفساد ، فهو جزء من السياسة الشرعية . قال أبو الوفاء بن عقيل - الفقيه الحنبلي : « إن السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح و أبعد عن الفساد و إن لم يضعه الرسول ﷺ و لا نزل به وحى » (٢) .

- (١) سورة البقرة : الآية ٢٠٨ ، والسلم « بكسر السين وفتحها و سكون اللام » .
(٢) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية لابن القيم ص ١٦ ، و قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « والملوك جعلوا بازاء الشريعة السياسة و ما خالف الشريعة منها فهو باطل و ما وافقها فهو حق » ، مجموع الفتاوى ١٩ ص ٣٠٨ ، و قال ابن خلدون « إذا كانت القوانين معروضة من العقلاء و أكابر الدولة و بصرائها كانت سياسة عقلية ، و إذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها و يشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا و في الآخرة ، و ذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط ، فانها كلها عبث و باطل إذ غايتها الموت و الفناء ، و الله يقول : « أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، فالمقصود دينهم المفضى بهم إلى السعادة في آخرتهم » ، المقدمة طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ م ص ٣٢٧ ، و ابن عابدين حاشية المختار على الدر المختار ج ٤ ص ١٥ قال : « السياسة ، ❖

و قال ابن القيم : السياسة العادلة جزء من أجزاء الشريعة ، و هي عدل الله و رسوله (١) .

و قول بعض الفقهاء : « لا سياسة إلا ما وافق الشرع » ، فهو قول صائب متى أريد به أن تكون الاحكام الجزئية متفقة مع روع الشريعة و مبادئها الكلية و غير مناقضة لنص تفصيلي تشريعي عام ، أما إذا أريد بهذا القول أنه لا يعتبر من الشريعة شيء من الاحكام الجزئية التي تحقق بها مصلحة أو تندفع بها مفسدة إلا إذا نطق الشرع بنص الكتاب أو السنة أو هما معاً ، كان قولاً بهذا المعنى غير سديد لمنافاته لقواعد الشريعة و عمل السلف الصالح ، (٢) .

❖ هي استصلاح الخلق بارشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا و الآخرة ، فهي من الانبياء على الخاصة و العامة في ظاهرهم و باطنهم ، و من السلاطين و الملوك على كل منهم في ظاهره لا غير ، و من العلماء و ورثة الانبياء على الخاصة في باطنهم لا غير ، .

- (١) الطرق الحكيمة ص ٥ ، ٨ و ورد ما نصه : « من له ذوق في الشريعة و اطلاع على كمالها و تضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش و المعاد و مجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق ، و إنه لا عدل فوق عدلها ، و لا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، و فرع من فروعها ، و إن من أحاط علماً بمقاصدها و وضعها موضعها و حسن فهمه فيها لم يحتاج معها إلى سياسة غيرها ألبتة .. و نحن نسميها سياسة تبعاً لمصطلحهم و إنما هي عدل الله و رسوله .. » .
(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، مراجعة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ج ٤ ص ٢٧٢ .

ومن أبرز الأمثلة على السياسة الشرعية : جمع أبي بكر - رضی الله عنه - القرآن الكريم ، ثم جمعه في مصحف واحد في عهد عثمان بن عفان - رضی الله عنه - و أمر بإحراق ما عداه من الصحف و المصاحف و إرسال نسخ المصحف الذي جمعه إلى الأمصار و حملة الناس عليه .. و ما فعله عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - من إنشاء الداووين ، و ما فرض من الخراج ، و حرمان المؤلفات لقلوبهم في عهده من سهم الصدقات لاستغناء المسلمين عن نصرتهم ، و ما فعله عثمان بن عفان - رضی الله عنه - في ضوال الأبل حيث خالف ما كان عليه العمل في عصر الرسول ﷺ حفاظاً عليها لأصحابها .

و بالبناء على ما تقدم فإن الحكم الذي تقتضيه حاجة الأمة يكون سياسة شرعية معتبرة بشرطين :

الأول : اتفاه مع مقاصد الشريعة و اعتماده على أصولها و قواعدها الكلية ، تلك القواعد و الأصول التي لا تقبل التبدیل أو التغيير و لا يختلف باختلاف الأمم و العصور .

والثاني : ألا يناقض مناقضة حقيقية دليلاً تفصيلاً عاماً جاء في القرآن أو السنة أو هما معاً أو أجمع المسلمون على خلافه (١) .

ولذلك قال بعضهم : « إن السياسة الشرعية هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح و دفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة و أصولها الكلية و إن لم يتفق و أقوال الأئمة المجتهدين ، أو إن الإسلام جاء

(١) جاد الحق على جاد الحق ، شيخ الأزهر الحالي ، : بحث عن الفقه الإسلامي منشور في سلسلة دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر ، طاعة الهيئة العامة للكتاب بمصر ، المجلد الثالث ص ٢٦٩ .

في مجال الحكم بمبادئ كلية فلم يعرض نظام تفصيلي في شكل الحكومات أو طريقة تنظيم سلطاتها أو كيفية اختيار الحاكم و اكتفى بوضع الأساس الثابتة تاركاً تطبيقاتها التفصيلية و الجزئية تتطور و ظروف الأمة في كل عصر بما يحقق صالح المجتمع الإسلامي ، (١) .

(١) الشيخ عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية ص ٢٠ ، و نفس المعنى السياسة الشرعية لمحمد البنا ص ٤ ، و السياسة الشرعية لعبد الرحمن تاج ص ١٠٨ ، و قال محمد أسد في كتابه منهاج الحكم في الإسلام ص ٥٤ : « إن الأحكام الخاصة بالشؤون السياسية في القرآن و السنة لم نجد من بينها ما ينص على شكل معين للدولة ، .. إن النظام السياسي الذي ينبثق عن القرآن و السنة ليس وهماً و لا خيالاً بل إنه راسخ الدعائم واضح المعالم يرسم حدوداً جلية لمنهاج سياسي صالح في النفاذ و التطبيق في كل الأزمنة ، .. »

و قال الدكتور محمد عبد الله العربي : « نقصد بنظام الحكم الإسلامي تلك الأصول و المبادئ الكلية التي فرضها القرآن و السنة في تنظيم شؤون الحكم ، تلك الأصول و المبادئ التي طبقت في صدر الإسلام تطبيقاً واقعياً مستقيماً ، في ضوء ظروف البيئة و مقتضيات العصر ، ثم حدث في العصور التالية أن سار هذا التطبيق بين إنحراف في أكثره و استقامة في أقله ، ثم التبس الأمر على بعض من شرحوا نظام الحكم الإسلامي في عصور الانحراف ، فخلطوا بين الأصول و التطبيق و فسروا الأصول في ضوء التطبيق المنحرف .. » نظام الحكم في الإسلام ص ٢٣ ، و الشيخ أحمد مريدي (مفتي الديار المصرية) مذكرة في نظم الحكم في الإسلام ❁

وما أحوج العالم اليوم إلى مثل هذا النوع من البشر الذي يتظاهر بالسلب بقصد الايجاب والاصلاح ، متناسياً نفسه وأنانيته في سبيل الصالح العام - كجندى مجهول .. في مقابل عدو العالم - ألا وهو الايجاب المضاد ، أى أنه إيجاب مضاد للايجاب ، و معناه الشر كله لأنه مضاد للخير كله ، واجهته إيجابية و شئته سلبية شأنه شأن المنافق الأناني المفسد للعالم كله في سبيل مصلحته - يظهر الوفاء والحب و يخفي الغدر و البغض . و ليت العالم يستطيع التخلص منه للاستراحة من شروه و من شرور جميع أنصاره و معاونيه و خدمه و تلاميذه الذين يشكلون الايجاب السلبي - يظهرون الخير و يبتغون الشر ، و المماثلين له في عداوتهم للعالم و عداوة القاعدة له - أى النواة الصالحة ، و إن الباطنيات و أنصاف الباطنيات موجودة في عالم الانسان وعالم الذرة ، و إن الايجاب المضاد لا وضع له إلا إذا تعالى على القاعدة أو حل فيها عند فسادها ، لأنه لا يستطيع الاقتراب من القاعدة السليمة ، إذ لو اقترب من نواة ذرة سليمة لهسته و قضت عليه و تخلصت منه ، و هكذا شقيقه في الانسان و العالم أجمع .. يتعالى على دول كبرى لضعف الايجابيات في القاعدة ، و يقول المولى سبحانه في مثل ذلك : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، ، و إذا قلنا بأنه لا تفاوت فيما بين شكل و تركيب عالم الانسان و الخلق كله - فإن الواقع و العلم يؤيد ذلك ، و القرآن العظيم يباركه ، فقد جاء في مستهل سورة الملك ما يؤيد هذا المعنى و ذلك بقوله سبحانه بعد البسملة : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، الذى خلق الموت و الحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا و هو العزيز الففور ، الذى خلق سبع سموات طباقاً ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، .

عالم الذرة و سورة الكافرون ،



فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

و إن عالم الذرة يخضع للقاعدة العامة حيث أنه مكون من السلب (الالكترتون) ، و الايجاب (البروتون) ، و التعادل (النيوترون) . وفيه كذلك السلب الايجابي ، و الايجاب السلبي ، و الحياد الايجابي ، و الحياد السلبي لتكملة الشعب سباعاً كقاعدة كونية ، على أن أهم كهارب الذرة هو السلب الايجابي و يسمى (بوزيترون - Positron) ، أى أن نصف الاسم الأول مشتق من الايجاب و النصف الآخر مشتق من السلب ، و شكله شكل الالكترتون إلا أنه أصغر منه ، و إن واجهته سلبية و شئته ايجابية ، و مهمته إنه بمجرد حدوث تصادم فى الأشعة على محيط الذرة كلها .. ينطلق البوزيترون لاصلاح هذا التصادم بجزء من عشرة ملايين جزء من الثانية ، و كذلك الحال فيما إذا تحول نواة الذرة إلى تعادل مثلاً .. فإنه ينطلق لاعادتها إلى الايجاب بجزء من عشرة ملايين جزء من الثانية ، و فى كلتى الحالتين يتلاشى البوزيترون و يتحول إلى طاقة كجندى مجهول ، و ذلك بعد انتهائه من مهمته القيمة لانقاذ العالم ، حيث أن إيجابية القاعدة .. هو الذى يجذب الكهارب حولها داخل حدود الذرة : و يكون الثقاب فى الأسفل ، و التخالف فى الأعلى شأن الكرة الأرضية فإنها تحتفظ بكل ما عليها من الأعماق إلى الاعراف الثقيل على سطح الأرض و أعماقها ، و الخفيف فى أجوائها و أعرافها كسنة كونية و قاعدة ثلاثية عامة ، (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) .

و يتبين من هذه الآيات إن الموت و الحياة يشمل فيما يشمله : الذرة و الخلية ، و إن للذرة عمل و للخلية عمل لقوله جل شأنه « وترى الجبال تحسبها حامدة و هي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨) » .
و كما أن السماء و الأرض يتكون كل منهما من سبع طبقات - فإن للذرة سبع طبقات و سبعة كهارب و ليس ثلاثة فقط كما تقدم ، و كذلك خلق الرحمن كله ، و يتبين من قوله سبحانه : « فارجع البصر هل ترى من فطور ، أن العين وحدها مثلاً نموذج للوجود كله ، و أن على البصر أن يرجع إلى قاعدته ، و أن القاعدة واحدة في الخلق كله ، و أن العين نفسها مكونة من سبع طبقات ، و النور مستو في الأعلى ، و أن الجلد مكون أيضاً من سبع طبقات ، و أن العدد سبعة يتكرر في الخلق كله مصداقاً لقوله سبحانه : « و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق و ما كنا عن الخلق غفلين » .

وإن الانسان مهما جال بنظره في الخلق كله لا يجد فطوراً في ذرة واحدة إذ لو انشطرت ذرة واحدة لحاولت أمام نفسها بشطر ذرة أخرى و هكذا ..
و ربما يجر ذلك إلى نهاية العالم ، يؤد ذلك قوله جل شأنه : « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و هو حسير (٤) » ، إذ لو فكر الانسان في نفسه لاكتفى بذلك عن العالم كله ، و لله در من قال :

« و تزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر ،

و يقول المولى سبحانه في الآية ٢١ ، من سورة الذاريات : « و في أنفسكم أفلا تبصرون » ، وقد مر على حديث عن وكيع بن حدس عن عمه ابن رزين العقيلي أرجو أن يكون ذكره هنا مفيداً .. و هو عن اجابته عليه السلام عند ما سئل : (أين كان ربنا عز و جل قبل أن يخلق السموات و الأرض ؟ قال :

كان في عماء ما تحته هواء و ما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء) و إذا كانت العين نموذجاً للخلق كله .. فإنها نموذج للوجود كله ، و إن الجنات و الفردوس الأعلى في وسطها و أعلاها يشكل العين كما ورد في الأثر : (فإذا سألتهم الله عز و جل فسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة و فوقه عرش الرحمن و منه تنفجر أنهار الجنة) .

و يتبين من ذلك أن الوجود كله يشكل العين المظلمة ، و أن الله سبحانه هو النور للوجود كله ، و قد ورد في كتاب الله أن الله سبحانه هو نور السماوات و الأرض ، كقوله سبحانه في الآية (٣٥) من سورة النور : « الله نور السماوات و الأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة » ، و قوله سبحانه في مستهل سورة الأنعام بعد البسملة : « الحمد لله الذي خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا يربهم يعدلون ، و كذلك شراب الجنة .. يقول سبحانه : « يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون (٢٦) و مزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨) » ، و الرحيق بين البياض و الصفار ، مختوم بالمسك الذي هو السواد ، و مزاجه من تسنيم أي تسنم يعلوه السواد من الوسط و يمتزج فيه ، و هذا ما يشبه العين أيضاً ، ثم يأتي بعد ذلك قوله سبحانه : « عينا يشرب بها المقربون » ، و هذا للمثال لا الحصر ، ولقد سأل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسول الله (ﷺ) عن اسم الرحمن فقال : هو اسم من أسماء الله ما بينه و بين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العينين و بياضهما من القرب .

فأقول : إن عنى أمريكا وروسيا إذا أرادتا أن تكونا قاعدتي اليمن واليسار

— أن تستفيدا من عالم الذرة ، فإن النواة لا يمنعها من القضاء على الايجاب المضاد إلا تعالیه عن قبضتها .. وإنما حال ما يمكنها تناوشه فانها تقضى عليه قضاء تاماً ، على أن المهم أن تكون القاعدة إيجاباً لكي تكون قاعدة سليمة كالنواة في عالم الذرة ، و إن تعادلهما يسبب نهايتها كقاعدة ، و إن البوزيترون الذي يمثل الجندي المجهول في الذرة — على أتم الاستعداد لاعادتها إلى الايجاب كقاعدة يمينية سليمة ، و لا بد من وجود أفراد أو دول تمثل البوزيترون أى الجندي المجهول لتقدم النصح الفعال في حالة حصول تصادم بين بعض الأفراد أو الجماعات أو الدول ، أو في حالة تحول القاعدة إلى تعادل .

حول سورة الكافرون

إليك أيها القارى الكريم ما يتبين لى في سورة « الكافرون » ، و أكتفى بمحاورة تمت بينى و بين أحد الأصدقاء حول هذه السورة الكريمة رامتاً إليه بحرف (س) أى سؤال ، و إلى بحرف (ج) أى جواب .

س — يقول البعض .. وربما الكثير أن سورة « الكافرون » منسوخة بآية الجهاد .

ج — لا يمكن أن تكون منسوخة .. و قد ورد عن رسول الله ﷺ ما يفيد أنها تعدل ثلث القرآن العظيم ، و قد كان ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سبحة الفجر ، و الشفع و الوتر ، و ركعتي الطواف ، و في كثير من صلواته ﷺ ، و لنا فيه أسوة حسنة و قدوة مباركة .

س — ألا ترى أن نعمل معادلة لهذه السورة ؟

ج — موافق .. و لتتلوها أولاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، « قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) و لا أنتم عابدون ما أعبد (٣) و لا أنا عابد ما عبدتم (٤) و لا أنتم عابدون

ما أعبد (٥) لكم دينكم ولى دين (٦) .

س — و ماذا يتبين لك من الآية الأولى « قل يا أيها الكافرون » .

ج — يتبين لى أن فيها خطاباً للكافرين برسالة محمد و عبادته الحققة التى جاء بها من عند الله سبحانه لتبليغها للثقلين من الجن و الانس مبتدئاً بعشيرته الأقربين .

س — حقاً ما تقول ، و ماذا يتبين لك من الآية الثانية « لا أعبد ما تعبدون » .

ج — يتبين منها ما يطمئن رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه سيحفظه على عبادة الله وحده و نبذ ما سوى ذلك مما يعبده المشركون في مكة و غيرها ، لا سيما و قد حفظه الله سبحانه من الشرك قبل الرسالة و الوحي و النبوة ، « .. الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

س — و الآية الثالثة « و لا أنتم عابدون ما أعبد » .

ج — يقول ذلك ﷺ كما أمره ربه ، و إن المصندين و لا شك هم الذين يموتون على كفرهم بما جاء به ﷺ .

س — حقاً ما قلت .. و إنى أشكر على ذلك ، و ماذا يتبين لك من الآية الرابعة « و لا أنا عابد ما عبدتم » .

ج — يقول الرسول ﷺ كما أمر ربه أيضاً : « و لا أنا عابد ما عبدتم مستقبلاً ، و لا يخفى ما فى ذلك من تأييد المولى سبحانه لرسوله الكريم و حفظه على استمرار عبادته لمولاه و الثبات على الدين الحق و نشره ، ثم توالى نصره له حتى توفاه الله سبحانه كما اختصت بذلك « سورة النصر » .

س — حقاً ذلك .. و ماذا يتبين لك من الآية الخامسة : « و لا أنتم عابدون ما أعبد » .

ج - تعني الآية فيما يظهر الذين لا يعبدون ما يعبد الرسول ﷺ بعد الموت -

س - و هل هناك كفر بعد الموت ؟

ج - نعم ، هناك كفر بعد الموت وذلك أن الكفر لا يتوقف عند الموت ،

بل يتعداه إلى مسئولية الكافرين عن كل من يكفر بسبب كفرهم من

أولادهم و أحفادهم و أحفاد أحفادهم .

و المتوالدين منهم إلى يوم القيامة ، وكذلك أتباعهم و مریدوهم و جميع

آثارهم مصداقاً لقوله سبحانه : « إنه لا يحب المستكبرين (٢٣) » و إذا قيل لهم

ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين (٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن

أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون (٢٥) ، النحل ، و قوله

سبحانه : « إنا نحن نحي الموتى و نكتب ما قدموا و آثارهم و كل شيء أحصيناه

في إمام مبين (١٢) » ، يس ، و إن الرسول ﷺ كثيراً ما يهلك نفسه أسفاً على

على أولاد الكافرين و أتباعهم و من تأثر بهم إذ لو أنهم آمنوا لآمن أولادهم

و تابعوهم و كل من تأثر بهم مصداقاً لقوله سبحانه : « فلعلك باخع ، نفسك

على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً (٦) » ، الكهف .

س - بارك الله فيك .. و إن آيات كتاب الله في هذا المعنى كثيرة ، و ماذا

يتبين لك من الآية السادسة : « لكم دينكم و لي دين » .

ج - لكم دينكم ، و عليكم مسئولياتكم ، و لي ديني الذي أحمد الله سبحانه

و تعالى أني وفقت فيه لإداء الأمانة و تبليغ الرسالة ، و أشهدت الله على ذلك

و هو سبحانه خير الشاهدين ، و ما قاله ﷺ مشهداً ربه ، مردداً ذلك في حجة

الوداع : (ألا هل بلغت اللهم فاشهد) ، و كما أن عليكم من و زر كل

من يكفر متأثراً بكفرهم - فإن لي من أجر كل من آمن بي أو تأثر برسالي

و تعاليم الربانية و إرشاداتي القرآنية دون أن ينتقص من أجورهم شيء ،
و قد ورد في الأثر :

« من دل على خير فله مثل أجر فاعله » ، المسند ٢٧٤/٥ .

و ينصب ذلك على الدعاة من أتباع الرسول (ﷺ) إلى يوم الدين ،

و قد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً

خير لك من حمر النعم) ، و جاء أيضاً في الحديث الشريف : (من سن في

الاسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من

أجورهم شيء ، و من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل

بها بعده من غير أن ينتقص من أوزارهم شيء) ، المسند ٣٥٩/٤ ، و ليس على

الرسول الكريم و من دعى بدعوة الحق من بعده إلا البلاغ المبين مصداقاً لقوله

سبحانه : « و إن تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول إلا البلاغ المبين » .

س - إن المعنى في سورة « الكافرون » واضح و متسلسل و منسجم .. على

أني لا أدري كيف طرأ موضوع النسخ على البعض ؟

ج - يظهر لي أن بعض المفسرين قد اکتفوا من الآية الأولى في قوله سبحانه

« قل يا أيها الكافرون ، بقولهم إن هذه الآية مجرد خطاب للكافرين .. و فاتهم

أن يعتبروا أن الكافرين لا يعبدون ما يعبد ﷺ ، كما اعتبروا « ولا أتم

عابدون ما أعبد » في الآية الثالثة .. للحاضر ، و في الآية الخامسة للمستقبل

لذلك أصبحت السورة متعادلة .. و كل متبادل يؤول إلى صفر ، فاعتبروها

منسوخة ، و لو أنهم اعتبروا كلمة « الكافرون » في الآية الأولى بمعنى أن

الكفر هو عدم تصديق الرسول الكريم و عبادة ما يعبد في الحال -

لزادت عندهم الآية الخامسة ، و لفتشوا عن معنى لها ، و ربما وصلوا إلى

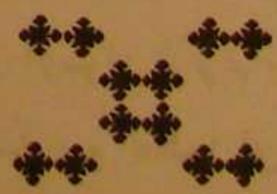
أن السورة الكريمة تبين الدعوة الحقّة و مسئولية الدعاة ، و إن ما على الداعي إلا أن يأمر بالعرف و يعرض عن الجاهلين ، مصداقاً لقوله سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ :

« خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين (١٩٩) ، الاعراف .

و أوكد فأقول : إن جل المفسرين ما لم يكن كلهم قد اعتبروا القرائن أربعاً ، و الحقيقة أن القرائن خمس وليست أربعاً حيث إنهم اعتبروا الآية الأولى مجرد نداء للكافرين و لم يتبها إلى أن الكافرين هم الذين لا يعبدون ما يعبده ﷺ هي قرينة أولى فأصبحت القرائن خمساً و إن نقص الفهم يعرض السورة التي عدل ربع القرآن العظيم إلى التعادل مع استمرار الدعوة و الجهاد في سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .. فكان لا مناص إذن أن يقول البعض بأنها منسوخة .

على أن كل خوض في الناسخ و المنسوخ يحتاج إلى إعادة نظر ، و لعل الاعتماد في ذلك على قوله سبحانه في الآية (١٠٦) من سورة البقرة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (١٠٦) » . و أرجو أن أوفق بعد هذا إلى بيان سبب نزول هذه الآية الكريمة لتعيد النظر في الناسخ و المنسوخ على ضوء ذلك ، و الله سبحانه هو الموفق و الهادي إلى سواء السبيل .

و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله و صحبه أجمعين .



السلطان صلاح الدين الأيوبي

-(٣)-

سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

مكارم الاخلاق :

و كان السلطان مع زهده و ورعه و تقواه جيبه يتحلى بالعدل و العفو ، و الحلم و الجود ، و المروءة و الكرم ، و الصبر و الصرامة ، و الثبات و الاستقامة ، و غيرها من مكارم الاخلاق و محاسن الاوصاف ، يقول ابن شداد :

« و كان يجلس للعدل في كل يوم اثنين و خميس في مجلس عام يحضره الفقهاء و القضاة و العلماء ، و يفتح الباب للمتحاكين حتى يصل إليه كل أحد من كبير و صغير ، و عجوز هرمة و شيخ كبير ، و كان يفعل ذلك سقراً و حضراً ، على أنه كان في جميع زمانه قابلاً لجميع ما يعرض عليه من القصص في كل يوم ، و يفتح باب العدل ، و لم يرد قاصداً للحوادث و الحكومات ، و كان يجلس مع الكاتب ساعة إما في الليل أو النهار ، و يوقع على كل قصة بما يحريه الله على قلبه ، و لم يرد قاصداً أبداً ولا منتحلاً ولا طالب حاجة ، وهو مع ذلك دائم الذكر و المواظبة على التلاوة رحمة الله عليه . . و ما استغاث إليه أحد إلا وقف و سمع قضيته ، و كشف ظلامته و اعتنى بقصته ، و لقد رأيت و استغاث إليه إنسان من أهل دمشق يقال له : ابن زهير ، على « تقي الدين » ابن أخيه ، فأنفذ إليه ليحضر إلى مجلس الحكم ، و كان « تقي الدين » من أعز الناس عليه و أعظمهم عنده ، و لكنه لم يجابه في الحق ، (١) .

(١) النوادر السلطانية ، : ص ١١ .

و كان السلطان ذا حلم أصيل و تؤودة ، و قد روى المؤرخون قصصاً من احتمالته ، و شدة حلمه ، و صبره على الأذى ، و إحسانه إلى من أساء إليه ، لو رويت عن أوساط الناس لكانت موضع الدهشة و الاستغراب ، فكيف من ملك قاهر ، و سلطان قوى !! و قد طلب مرة ماءً للشرب ، و تأخر إحضاره فكرر الطلب و لم يحضر ، حتى اتفق ذلك خمس مرات و لم يحضر ، فلم يزد على أن قال : إخواني إني أموت عطشاً ! فأحضر و شربه السلطان ، و لم يلم أحداً على تأخيره ، و أبل من مرض طال به ، و دخل الحمام ليستحم ، فوجد الماء شديد السخونة ، فطلب ماءً بارداً ، فأحضر الخادم الماء ، و وقع عليه الاناء الذي فيه ، و لم ينبج من الموت إلا بلطف من الله ، فما زاد أن قال : إذا كنتم تنوون قتلي فأخبروني بذلك ، و اعتذر الخادم و سكت السلطان ، و ذكر القاضي ابن شداد أخباراً كثيرة من صفحه عن الأمراء ، و سعة صدره و حلمه (١) .

و قد سجل القاضي بهاء الدين قصصاً عديدة للسلطان في عفوه و حلمه ، و صفحه عن أخطائه جنوده و زلات أصحابه (٢) .

و أما في جوده و سخائه : فكان السلطان رحمه - كما صرح به ابن شداد - « ربما يهب الأقاليم ، و فتح « آمد » ، و طلبها منه ابن قره أرسلان فأعطاء إياه ، و رأيت قد اجتمع عنده جمع من الوفود بالقدس الشريف ، و كان قد عزم على التوجه إلى دمشق ، و لم يكن في الخزانة ما يعطى الوفود ، فلم أزل أخاطبه في معانهم حتى باع أشياء من بيت المال و فضضنا ثمنها عليهم ، و لم يفضل منه درهم واحد . . . و كان نواب خزائنه يخفون عنه شيئاً من المال حذراً أن يفاجئهم

(١) راجع « النوادر السلطانية » ، و ما ألف في أخباره .

(٢) « النوادر السلطانية » ، ص ٢١ - ٢٤ .

مهم لعلمهم بأنه متى علم به أخرجه ، و سمعته في معرض حديث جرى يقول : يمكن أن يكون في الناس من ينظر إلى المال كما ينظر إلى التراب ، فكأنه أراد بذلك نفسه - رحمه الله تعالى ، (١) .

و يقول ابن شداد في موضع آخر :

« و كان السلطان كثير المرورة ، ندى اليد ، كثير الحياء ، ميسوط الوجه لمن يرد عليه من الضيوف ، و كان يكرم الوافد عليه ، و إن كان كافراً . . . و لقد رأيت و قد دخل عليه صاحب « صيدا » بالناصره فاحترمه و أكرمه ، و أكل معه الطعام ، و مع ذلك عرض عليه الاسلام ، فذكر له طرفاً من محاسنه و حثه عليه ، (٢) .

و كان السلطان كريم النفس رقيق القلب ، يتوجع للظلم و يرتق له ، و يجبر مصابه ، يدل على هذا ما يحكي ابن شداد في كتابه فيقول :

« ولقد كنت راكباً في خدمته في بعض الأيام قبالة الأفرنج ، و قد وصل بعض اليزكية ، و معه امرأة شديدة التخوف ، كثيرة البكاء متواترة الدق على صدرها ، فقال اليزكي : إن هذه خرجت من عند الأفرنج فسألت الحضور بين يديك و قد أتينا بها ، فأمر الترجمان أن يسألها عن قصتها ، فقالت : اللصوص المسلمون دخلوا البارحة إلى خيمتي و سرقوا ابنتي ، وبت البارحة أستغيث إلى بكرة النهار ، فقال لي المملوك : السلطان هو أرحمهم ، و نحن نخرجك إليه تطلبين ابنتك منه ، فأخرجوني إليك ، و ما أعرف ابنتي إلا منك ، فرق لها و دمعت عينه ، و حركته مروته ، و أمر من ذهب إلى سوق العسكر يسأل عن الصغيرة

(١) نفس المصدر ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) « النوادر السلطانية » ، ص ٢٤ .

من اشتراها ويدفع له ثمنها ويحضرها ، و كان قد عرف قضيتها من بكرة يومه ، فما مضت ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه ، فما كان إلا أن وقع نظرها عليه ، فخرجت إلى الأرض تعفر وجهها في التراب . والناس يبكون على ما نالها ، و هي ترفع طرفها إلى السماء و لا تعلم ما تقول ، فسلمت ابنتها إليها و حملت حتى أعيدت إلى عسكرهم ، (١) .

و يقول ابن شداد :

« و إنه ما أحضر بين يديه يتيم إلا ترحم على مخلفيه وجبر قلبه ، وأعطاه و جبر مصابه ، و إن كان له من أهله كبير يعتمد سلمه إليه ، و إلا أبقى له من الخير ما يكف حاجته و سلمه إلى من يعتق تبريته و يكفلها ، و كان لا يرى شيخاً إلا يرق له و يعطيه و يحسن إليه » (٢) .

خلال الفتوة و الفروسية :

و يدل على صبره و استقامته في الشدائد و الأهوال ما حكى عنه القاضي بهاء الدين ، فقال : إنه رآه بمرج عكة « وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دما ميل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه ، بحيث لا يستطيع الجلوس ، و إنما يكون منكباً على جانبه إن كان بالخيمة ، و امتنع من مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس ، و كان يأمر أن يفرق على الناس ، و كان مع ذلك قد نزل بخيمة الحرب قريباً من العدو ، و قد رتب الناس ميمنة وميسرة و قلباً بغية القتال ، و كان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة المغرب يطوف على الأطلاب ، صابراً على شدة الألم و قوة ضربات الدماويل ، و أنا أتعجب من ذلك فيقول : إذا ركب يزول عن أعضائها حتى أنزل !! وهذه عناية ربانية ، (٣) .

(١) النوادر السلطانية : ص ٢٦ . (٢) النوادر السلطانية : ص ٢٨ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٨ .

و لم يزل يطارد العدو في معركة - و هو في حالة المرض - إلى أن دخل الليل فضربت له خيمة لطيفة ، يقول القاضي ابن شداد :

« و بتنا تلك الليلة أجمع ، أنا و الطبيب نمرضة و نشاغله ، و هو ينام تارة ويستيقظ أخرى ، حتى لاح الصباح ، ثم ضرب البوق و ركب هو و ركبت العساكر ، و أحذقت بالعدو ، و رحل العدو عائداً إلى خيامهم من الجانب الغربي من النهر ، و ضايقهم المسلمون في ذلك اليوم مضايقة شنيعة ، و في ذلك اليوم قدم أولاده بين يديه احتساباً و جميع من حضر منهم ، و لم يزل يبعث من عنده حتى لم يبق عنده إلا أنا و الطبيب . . . و بقي - رحمه الله - في مرضه و العساكر على ظهور الخيل قبالة العدو إلى آخر النهار ، ثم أمرهم أن يبيتوا على مثل ما باتوا عليه بارحتهم ، و عدنا إلى منزلنا في الليلة الماضية ، (١) .

و كان السلطان من عظماء الشجعان ، و يضرب به المثل في الشجاعة ، و قوة النفس ، و شدة الجأش ، و من ذلك ما يروى ابن شداد ، فيقول :

و كان لا بد له من أن يطوف حول العدو في كل يوم مرة أو مرتين و كان رحمه الله تعالى - إذا اشتدت الحرب - يطوف بين الصفين ، و يخرق العساكر من الميمنة إلى الميسرة ، ويرتب الأطلاب ، و يأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها ، و كان يشارف العدو و يحاوره - رحمه الله - ، و لقد قرى عليه جزءان من الحديث بين الصفين ، و ذلك أتى قلت له : قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ، و لم ينقل أنه سمع بين الصفين ، فإن رأى المولى أن يؤثر عنه ذلك كان حسناً ، فأذن في ذلك فأحضر جزء كما أحضر من له به سماع ، فقرأ عليه ، و نحن على ظهور الدواب بين الصفين ، نمشي تارة و نقف أخرى ، (٢) .

(١) النوادر السلطانية ص ١٩ - ٢٠ . (٢) النوادر السلطانية : ص ١٦٥ .

« وما رأيت استكثر العدو أصلاً ولا استعظم أمرهم قط ، (١) .
 « وقد حارب في بعض الأحيان عدواً يبلغ عدده إلى خمسمائة ألف
 أو ستمائة ألف ، فنصره الله على عدوه ، فقتل وأسراً خلقاً كثيراً منهم » .
 « ولقد وصل في ليلة واحدة نيف و سبعون مركباً على عكك - و أنا
 أعدما - من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس وهو لا يزداد إلا قوة نفس ، (٢) .
 « ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف الأكبر بمرج عكك ، حتى القلب
 ورجاله ، و وقعت الكؤوس و العلم ، و هو - رضى الله عنه - ثابت القدم في
 نفر يسير حتى انحاز إلى الجبل ، يجمع الناس و يردهم و يخجلهم حتى يرجعوا ،
 و لم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو في ذلك اليوم و قتل منهم
 زهاء سبعة آلاف ما بين راجل و فارس ، و لم يزل رحمه الله مصابراً لهم ،
 و هم في العدة الوافرة ، (٣) .

و يدل على بعد هممة السلطان ، و قوة إرادته و صلابته عزمه و تحمسه
 لدينه ، ما يحكى ابن شداد أن السلطان قال له ذات يوم : « أما أحكى لك شيئاً
 في نفسى ؟ إنه متى ما يسر الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمت البلاد وأوصيت
 و ودعت ، و ركبت هذا البحر إلى جزائرهم و اتبعتهم فيها حتى لا أبقى على وجه
 الأرض من يكفر بالله أو أموت ، (٤) .

(١) نفس المصدر : ص ١٥ .

(٢) « التوادر السلطانية » : ص ١٥ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٥ - ١٦ .

(٤) « التوادر السلطانية » : ص ١٧ .

علم السلطان و فضله :

و كان السلطان عالماً فاضلاً نساباً ، يقول ابن شداد : « إنه كان حافظاً
 لأنساب العرب و وقائعهم ، عارفاً بسيرهم و أحوالهم ، حافظاً لأنساب خيولهم ،
 عالماً بمجائب الدنيا و نوادرها ، بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع
 من غيره (١) ، .

و ذكر بعض المؤرخين أنه كان حافظاً للحماسة أبي تمام بتامها (٢) .

و يتحدث « لين بول » عن أوائل حياته ، فيقول :

« و كان ميله الطبيعي إلى علوم الدين ، فكان يسمع الأحاديث من علماء
 عصره ، و يعكف على البحث عن دلائلها و رواياتها و النقاش حول مسائل الفقه
 و تفسير آيات القرآن ، و فضلاً على ذلك ، فكان أحب شئ إلى نفسه أن يدعم
 مذهب أهل السنة و الجماعة بحجج دامغة و دلائل قوية ثابتة (٣) ، .

انقراض الدولة الفاطمية و مكرمة أخرى للسلطان :

و كانت سيطرة صلاح الدين على مصر نقطة انقراض دولة العبيديين (٤)

(١) نفس المصدر : ص ٢٧ .

(٢) « البداية و النهاية » لابن كثير ج ١٣ ، ص ٥ .

(٣) « السلطان صلاح الدين » : ص ٢٦٢ .

(٤) أجمع محققو الأنساب أن بني عبيد لا ينتمون إلى أهل البيت النبوي بصلة ،

و إنما ينتمون إلى رجل اسمه عبيد ، كان مجوسياً ، أو يهودياً ، و قد

استوعب الموضوع القاضى أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه : « الكشف

عن أسرار الباطنية » ، و القاضى عبد الجبار في كتابه : « تثبيت دلائل

النبوة » ، و المقدسى في كتابه : « كشف ما كان عليه بنو عبيد » .

المعروفة بـ « الفاطمية » ، التي ظلت تجول و تصول في البلاد الاسلامية طوال قرنين و ثمانية و ستين عاماً ، و أثرت في ثقافة جزء كبير من العالم الاسلامي و أخلاقه و حضارته تأثيراً كبيراً ، وكان عصرهم مليئاً بالعجائب العقائدية ، و الاحكام الغريبة ، و القوانين المضحكة ، تقدم بعض نماذجها نقلاً عن كتاب (الخطط و الآثار) للقريني :

« أمر في المواريث بالرد على ذوى الارحام ، و أن لا يرث مع البنت أخ و لا أخت و لا عم و لا جد و لا ابن أخ و لا ابن عم ، و لا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلا الزوج أو الزوجة و الأبوان و الجدة ، و لا يرث مع الأم إلا من يرث مع الولد . »

و اعتبر الخروج من هذا القانون عداوة لفاطمة رضى الله عنها .

« و صار صوم شهر رمضان و الفطرة على حساب لهم . . . و انقطع

طلب الهلال من مصر . »

« و في سنة اثنتين و سبعين و ثلاثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التراويح من جميع البلاد المصرية ، ، و في سنة إحدى و ثمانين و ثلاثمائة ضرب رجل بمصر ، و طيف به في المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب « الموطأ » ، لمالك بن أنس رحمه الله (١) . »

« و في ٣٩٣ هـ قبض على ثلاثة عشر رجلاً ، و ضربوا و شهروا على

الجمال ، و حبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى . »

« و في ٣٩٥ هـ قرى سجل آخر فيه منع الناس من أكل الملوخيا التي كانت

محببة لمعاوية بن أبي سفيان ، و منعه من أكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة رضى الله عنها . »

(١) « الخطط و الآثار » : ج ١ / ص ٣٤٠ .

« و كتب في صفر من هذه السنة على سائر المساجد ، وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره و باطنه من جميع جوانبه ، و على أبواب الخوانيت و الحجر و على المقابر و الصحراء : سب السلف ولعنهم ، و نقش ذلك و لون بالأصباغ و الذهب (١) . »

« شرب الخمر و رخص فيه للناس و في سماع الغناء و شرب الفقاع ، و أكل الملوخيا و جميع الاسماك ، فأقبل الناس على اللهو ، و تفاقم الأمر في شدة البلاء ، و صاح الناس بالظاهر : الجوع الجوع ! يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك و لا جدك فآله الله في أمرنا (٢) . »

« و في ٤٢٤ هـ ركب ولى العهد من القاهرة إلى مصر وقد زينت الطرقات ، فكان إذا مر يقوم قبلوا له الأرض و بويع بالخلافة ، و عمره يومئذ سبع سنين (٣) . »

و كان حكم السلطان صلاح الدين نهاية هذا العصر المضحك الغريب ، و فاتحة عهد جديد ، بدأت تدرس فيه معالم الشيعة و الرفض من مصر ، و ازدهرت السنة و انتشرت ، و أسست المدارس و المعاهد التي كان يدرس فيها علماء السنة علوم الشريعة الاسلامية ، و أخذت تتضائل رواسب عهد العبيديين ، حتى غابت و اختفت ، و قد أصبح مذهب الاسماعيلية - الذي ظل في مصر كدين رسمي طيلة ثلاثة قرون - غريباً في وطنه ، و طريداً في مركزه ، و شريداً في معقله .

(١) « الخطط و الآثار » : ٢ / ٣٤١ .

(٢) « الخطط و الآثار » : ٢ / ٣٥٤ .

(٣) « الخطط و الآثار » : ١ / ٣٥٥ .

« و اختفى مذهب الشيعة و الاسماعيلية و الامامية حتى فقد من أرض مصر كلها (١) » .
 و كان عصر حكم العبيديين عصرآ ابتلى فيه الاسلام ابتلاء عظيمآ ، و منى فيه بمحنة كبيرة ، انتهكوا فيه محارم الله ، و تلاعبوا بالشريعة الاسلامية ، و قالوا من السنة و عقائد الاسلام ، فكان العلماء و أهل السنة مقهورين و مستضعفين ، منخفضي الرؤوس أذلاء ، ليس لهم حرمة و لاقيمة ، ولا شوكة و لا سلطان ، و أما الطغاة و الأوباش و الأوغاد و الأجلاف فألقى جملهم على غارهم ، يعيشون في الأرض فسادآ ، و قد استفحل أمرهم و تفاقم شرهم .
 و يتحدث العلامة المقدسي عن هذا العصر في كتابه « الروضتين في أخبار الدولتين » ، فيقول :

« و بقي هذا البلاء على الاسلام من أول دولتهم إلى آخرها ، و ذلك من ذى الحجة سنة تسع و تسعين و مائتين إلى سنة سبع و ستين و خمسمائة ، و في أيامهم كثر أعداء أهل السنة ، و استحکم أمرهم ، و وضعوا المكوس على الناس ، و اقتدى بهم غيرهم ، و أفسدوا عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام ، كالنصيرية و الدرزية و الحشيشية - نوع منهم - و تمكن دعواتهم منهم - لضعف عقولهم و جهلهم - ما لم يتمكنوا من غيرهم ، و أخذت الفرنج أكثر البلاد بالشام و الجزيرة إلى أن من الله على المسلمين بظهور البيت الاتابكي ، و تقدمه مثل صلاح الدين ، فاستردوا البلاد ، و أزالوا هذه الدولة عن رقاب العباد (٢) » .

(١) « الخطط و الآثار » : ١ / ٣٥٥ .

(٢) كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » : ١ / ٢٠١ .

و كان من الطبيعي أن يفرح أهل السنة و المؤمنون الصادقون بهذه الثورة في الحكم ، التي كانت مقدمة لثورة في الدين و الأخلاق ، و يعرب العلامة المقدسي - الذي ولد قبل تسعة و عشرين عاماً من هذه الثورة ، و شاهد ما أعقبها من آثار و تقلبات - عما أفهم قلبه من غبطة و فرح كبير ، فيقول :
 « انقضت تلك الدولة و زالت عن الاسلام بمصر بانقراضها الذلة (١) » .
 و قد حدث العلامة المحافظ ابن قيم في كتابه « الصواعق المرسلّة على الجهمية و المعطلة » عن انتشار الباطنية و عواقبه ثم يذكر انقراض هذه الدولة بأيدي نور الدين و صلاح الدين بعبارة تندفق بالقوة و الحماس :

« ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق ، و ظهرت من المغرب قليلاً قليلاً ، حتى استفحلت و تمكنت ، و استولى أهلها على كثير من بلاد المغرب ، ثم أخذوا يطأون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر ، فملكوها ، و بنوا بها القاهرة ، و أقاموا على هذه الدعوة مصرحين بها هم و ولائهم و قضاتهم ، و في زمانهم صنفت رسائل إخوان الصفا و الاشارات و الشفا ، و كتب ابن سينا ، فانه قال : كان أبي من أهل الدعوة الحاكمة ، و عطلت في زمانهم السنة و كتبها و الآثار جملة إلا في الخفية ، و شعار هذه الدعوة تقديم العقل على الوحي ، و استولوا على بلاد المغرب ، و مصر و الشام و الحجاز ، و استولوا على العراق ، و أهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين ، بل كان لأهل الذمة من الأمان و الجاه و العز عندهم ما ليس لأهل السنة ، فكم أعهد من سيوفهم في أعناق العلماء ، و كم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء ، حتى استنقذ الله الاسلام و المسلمين من أيديهم في أيام نور الدين و صلاح الدين ، فأبلى الاسلام من علقته ، بعد ما وطن نفسه

(١) كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » : ١ / ٢٠١ .

على العزاء ، و انتعش بعد طول الخمول حتى استبشر أهل الارض و السماء ،
و أبدر هلاله بعد أن دخل في المحاق ، وثابت إليه روحه بعد أن بلغت التراق ،
و قيل من راق ، و استنقذ الله بعبده و جنوده بيت المقدس من أيدي عبدة
الصليب ، و أخذ كل من أنصار الله و رسوله من نصرة دينه بنصيب ، (١) .

والكتب التي تؤرخ هذا العصر تخدثنا أن هذا النبأ السار تلقى ترحيباً بالغاً
من العالم الاسلامي بوجه عام و الشام و العراق بوجه خاص ، و كاد يطير
المسلمون كلهم فرحاً و سروراً .

و بالجملة فان صلاح الدين بينما هو - بالوقوف في وجه الغزاة الصليبيين
الطامعين - قد أنقذ العالم الاسلامي من الرق السياسي والفوضى الخلقية والثقافية
و أتجاه من برائن الزاحفين من الغرب ، إذا هو - بالقضاء على الدولة الفاطمية
العبيدية - سد أبواب الفساد الذي قد أخذ يستشري ويشيع الباطنية والاسماعيلية
لا في مصر فحسب ، بل في العالم الاسلامي كله ، و تمنح عن الفوضى الفكرية
والتدهور العقائدي ، والتفسخ الخلق الذي ظلت الامة الاسلامية المنكوبة فريستها
طيلة ثلاثة قرون .

إن التاريخ الاسلامي المجيد لن ينسى هذين العاملين اللذين قام بهما السلطان
صلاح الدين الايوبي ، و لن يتخلى أحد من المسلمين في أي عصر و مصر من
منة هذا المجاهد الكردي الباسل المغوار .

(١) « الصواعق المرسله على الجهمية و المعتلة » : ١ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .

دراسة في أصول الحديث :

علم الجرح و التعديل

(الحلقة الثالثة)

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي

أستاذ بكلية الشريعة بجامعة ندوة العلماء.

التعبير عن وجهات النظر بدون ضوابط معينة متفق عليها :

و في هذا الوسط العلمي الذي كان يسود القرن الثاني و بداية القرن الثالث
بصفة خاصة ، لم يكن الكلام الذي يذكره النقاد المحدثون في الرجال وما يدونه
من آراء و نظرات و ما يحكمون به على الرواة من تقوية أو تضعيف أو توهية
أو توثيق تحت ضوابط معينة سابقة متفق عليها ، بل كان كل واحد من النقاد
البصيرين المنصفين يفحص أولاً حال الرجل في الدين و العقيدة و في الأخلاق
و المعاملات و في الحفظ و الضبط و مقدار ما عنده من العلم ، إما مباشرة إذا
تمكن من ذلك أو عن طريق نقل الثقات عنه ، أو بالنظر في كلامه و رواياته
و مقارنتها بروايات الثقات عنده ، ثم يطلق عليه وصفاً يعبر به عن نظره إليه
تبعاً لما تمنح لديه من دراسة ذلك الراوي ، و كانت تختلف وجهات النظر في
بعض الرواة من محدث لآخر ، و إن كانت الصيغة العامة هي صيغة الاحتياط
للدين ، و نفي كل ما من شأنه الشك و الريبة ، فكان كلامهم - لأجل ذلك -
قد يخرج مخارج مختلفة ، و قد يشذ عن نطاق القواعد العلمية و الضوابط الفنية
التي تعتبر عمدة في كل عصر و مصر ، و لكنه بسبب الدقة و الاحتياط الشديد
كان كالمساهر على حفظ الدين و الأحاديث النبوية و صيانتها من كل شائبة
وضع أو إلحاق أو تزوير .

مذاهب النقاد غامضة دقيقة :

يقول الخطيب البغدادي : « مذاهب النقاد من الرجال غامضة و دقيقة ، و ربما سمع بعضهم في الراوي أدنى معزز فتوقف عن الاحتجاج بخبره ، و إن لم يكن الذي سمعه موجباً لرد الحديث و لا مسقطاً للعدالة ، و يرى السامع أن ما فعله هو الأولى رجاء إن كان الراوي حياً أن يحمله ذلك على التحفظ وضبط نفسه عن الغمزة ، و إن كان ميتاً أن ينزل من نقل عنه منزلته ، فلا يلحقه ببطقة السالمين من ذلك المغمز . »

ومنهم من يرى أن من الاحتياط للدين إشاعة ما سمع من الأمر المكروه الذي لا يوجب إسقاط العدالة بانفراده حتى ينظر هل له من أخوات و نظائر ، فان أحوال الناس و طبائعهم جارية على إظهار الجميل وإخفاء ما خالفه فاذا ظهر أمر يكره ، و يخالف للجميل لم يؤمن أن يكون وراه شبه له .
ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من أظهر لنا خيراً أمناء و قربناه ، وليس إلينا من سريرته شئ ، و من أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، و إن قال : إن سريرتى حسنة (١) .
أمثلة لمناهج جرح النقاد المتقدمين و تعديلهم :

و أقدم فيما يلي أمثلة لتقوم بعض المحدثين النقاد للرجال و نظرتهم إليهم والحكم بقبولهم أو ردهم ، يتجلى فيها سير هذا العلم والأسلوب الذي كانوا يعبرون به عن جرح الرجال أو تعديلهم .

عن سليمان بن موسى قال : قلت لطاووس ، إن فلانا حدثني بكذا وكذا قال : إن كان صاحبك ملياً نخذ عنه (أى ثقة في دينه) (٢) .

« وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : قيل لشعبة متى يترك حديث الرجل ؟

(١) الكفاية : ص ١٠٩ . (٢) صحيح مسلم ١٥/١ .

قال : إذا حدث عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون ، و إذا أكثر الغلط ، و إذا اتهم بالكذب ، و إذا روى حديثاً غلطاً مجتمعاً عليه فلم يهتم نفسه فيتركه ، طرح حديثه ، و ما كان غير ذلك فأرووا عنه ، (١) .

« و عن سليمان الدمشقي أنه قال : قلت لعبد الرحمن بن مهدي : أكتب عن يغلط في مائة ؟ قال : لا ، مائة كثير ، قال أبو محمد يعني مائة حديث .
« كان ابن المبارك لا يترك حديث الرجل حتى يبلغه عنه الشئ الذي لا يستطيع أن يدفعه . »

« عن عبد الله بن الزبير الحميدي قال : فان قال قائل : فما الشئ الذي إذا ظهر لك في الحديث أو من حدث عنه لم يكن مقبولاً ؟ قلنا : أن يكون في إسناده رجل غير رضا بأمر يصح ذلك عليه بكذب أو جرحه في نفسه ترد بمثلها الشهادة أو غلطاً فاحشاً لا يشبهه ، وما أشبه ذلك (من الأمور التي يصبح الرجل بها مردوداً) فان قال : فما الغفلة التي ترد بها حديث الرجل الرضا الذي لا يعرف بكذب قلت : هو أن يكون في كتابه غلط ، فيقال له في ذلك فيترك ما في كتابه و يحدث بما قالوا أو يغيره في كتابه بقولهم لا يعقل فرق ما بين ذلك أو يصحف تصحيفاً فاحشاً فيقلب المعنى لا يعقل ذلك فكيف عنه ، وكذلك من لقن فتلقن ، التلقين يرد حديثه الذي لقن فيه ، وأخذ عنه ما اتقن حفظه ، و إذا علم أن ذلك التلقين حادث في حفظه لا يعرف به قديماً ، فأما من عرف به قديماً في جميع حديثه فلا يقبل حديثه و لا يؤمن أن يكون ما حفظ مما لقن ، (٢) .

(١) الجرح و التعديل ج ١ قسم ١ ص ٣٣ .

(٢) الجرح و التعديل ج ١ قسم ١ ص ٣٤ .

نجد في هذه النصوص المتقدمة أنه كلما تقدم الزمن كان نقد الرجال وبيانهم بضوابط الجرح والتعديل أوسع وأوضح ، فإذا كان طاووس - مثلاً - اكتفى في الاحتجاج بالرجل بوصفه « ملياً ، أي ثقة ، فان عبد الرحمن بن مهدي فصل تفصيلاً بين المقبول حديثه و المردود حديثه فذكر صفات المردودين و حالاتهم ليعرف بها ما هو خلافهم و ما المقبولون ، فبالاضداد تبين الحقائق ، و هكذا استمر النقد يتفرع و تتوسع حواشيه و ذبوله .

تفاضل الرواة و تفاوت درجاتهم :

و كما كان المحدثون بدأوا تحديد صفات الراوي المقبول و غير المقبول كذلك شخصوا و بينوا من هو الامام في الحديث ، و الكفو لهذا العلم ، و من يكون صاحب جدارة في ذلك .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لا يكون إماماً من يسمع من كل أحد ، و لا يكون إماماً في الحديث من يحدث بكل ما سمع ، و لا يكون إماماً في الحديث من يتبع شواذ الحديث ، و الحفظ هو الاتقان (١) .

و عن مروان بن محمد إنه يقول : ثلاثة لا يستغنى عنها صاحب العلم : الصدق و الحفظ و صحة الكتب ، فان أخطأته واحدة لم تضره ، إن أخطأه الحفظ فرجع إلى كتب صحيحة لم يضره (٢) .

و معلوم أن هناك تفاوتاً في طبقات العلماء في أخذ العلم ، و الحفظ و الاتقان و الضبط ، و قد قرر العلماء أن الواعين الفقهاء إذا كانوا مع الحفظ كانوا أعلى شأنًا من الحفظة للحديث الذين لا يدق فهمهم ، و لا يتسع وعيهم العلمي ، يدل على ذلك ما روى ابن أبي حاتم ، من سؤال وكيع عن سنيين

للحديث ، رجح المجيب أحدهما ، فقال وكيع : « كان حديث الفقهاء أحب إليهم من حديث المشيخة ، (١) .

التجارب العملية رائد المحدثين :

و في طريق التعميد والتقنين الفنى لهذا العلم الدقيق ، كانت التجارب العملية رائد المحدثين ، يشتون ما مارسوه و جربوه كأصل من أصول العلم ، فكانوا يختبرون - مباشرة كلما تيسر ذلك - حال المحدث قبل أن يأخذوا عنه ، و ينقلون تجاربهم - إذا اتفقت فيما بينها ، كضابطة ينبغي أن يستفاد بها و يعرض حال الرجل على محكمها .

« قال خالد بن خدّاش : سمعت حماد بن زيد يقول : كان الرجل يقدم علينا من البلاد ، و يذكر و يحدث عنه و يحسن الثناء عليه ، فإذا سألنا أهل بلاده وجدناه على غير ما يقول ، قال ، و كان يقول : بلدى الرجل أعرف بالرجل ، (٢) .

تغير الاجتهاد في الرجال :

و لم يكن المحدثون كالات الجامدة الصماء التي تحكم بما تحكم به مرة ثم لا تعيد النظر و لا تغير الرأي ، بل كانت الآراء أحياناً تتغير حسب ما ينكشف للناقد من حال الراوي ، فقد يراه في حال - و هي حال طارئة - لا تعجبه و يرى فيه نقيصة و جرحه فيجرحه ، ثم يطلع عليه أكثر ، و يخبره خبرة أدق ، فيتغير حكمه تبعاً لذلك فلا يبيح لنفسه الخوض فيه ، و يعلن ما ارتآه و يترك رأيه السابق و بالعكس .

« يقول أبو بكر بن الأسود : كنت أسمع الأصناف من خالى عبد الرحمن ابن مهدي ، وكان في أصل كتابه قوم قد ترك حديثهم مثل الحسن بن أبي جعفر و عباد بن صهيب و جماعة نحو هؤلاء ، ثم أتته بمد ذلك بأشهر و أخرج إلى

و كتاب الدييات ، فحدثني عن الحسن بن أبي جعفر فقلت : يا خالي : أليس كنت قد ضربت علي حديثه و تركته ؟ قال : بلى ! تفكرت فيه إذا كان يوم القيامة قام الحسن بن أبي جعفر ، فيتعلق بي فقال : يا رب سل عبد الرحمن ابن مهدي فيم أسقط عدالتى ؟ فرأيت أن أحدث عنه و ما كان لي حجة عند ربى ، فحدث عنه بأحاديث (١) .

قال سفيان : كان الناس يحملون عن جابر (بن يزيد الجعفي) قبل أن يظهر ما أظهر ، فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه و تركه بعض الناس فقيل له ، و ما أظهر ؟ فان الايمان بالرجعة .

و قال عبد الله بن المبارك : لو خيرت بين أن ادخل الجنة و بين أن ألقى عبد الله بن محرز لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة ، فلما رأته كانت بعرة أحب إلى منه ، (٢) .

و هذه بعض الأمثلة من مئات الأمثلة المنتورة في كتب الرجال ، و يعقد الأصوليون من المحدثين في كتبهم الأصولية فصلاً خاصاً باختلاف رأى الناقد الواحد في الراوى الواحد ، و مئات من التراجم في كتب الرجال تعرض علينا أمثلة كثيرة من اختلاف آراء النقاد و تغير أحكامهم .

الخلاف في قواعد الجرح و التعديل و تطبيقها على الناس :

سار هذا النقد العلمى للرجال رواة الحديث سيره الطبيعى ، فتقدم تقدماً تدريجياً ، و لم يأخذ شكل القواعد الثابتة في إطلاق الأحكام ، أو قواعد الجرح و التعديل ، أو أسس الرد و القبول ، إلا في القرن الثالث ، و لما أن التطبيق الفعلى كان يختلف في جرح الرجال و تعديلهم لرجل عن رجل ، لذلك جاءت القواعد أيضاً فيها الخلاف الكثير بين المتأخرين من المؤلفين في علوم الحديث ،

(١) الكفاية : ص ١٠٩ ، ١١٠ . (٢) مقدمة صحيح مسلم ٢٠/١ .

و مجال هذا الاختلاف الواقع فيما بينهم إنما هو الجانب النظرى من قواعد التعديل و التجريح ، لا سيما إذا نظرنا إليها كقواعد مجردة ، تحتاج إلى أدلة عقلية أو أدلة من الكتاب و السنة ، رغم أن ما نحن فيه من العلم ، إنما هو علم استقرانى سبقت الوقائع فيه ، و تداوله المحدثون الأوائل من النقاد الباحثين ، فجرحوا و عدلوا على أساس وجدانهم العلمى ، مستخدمين في ذلك القواعد الاسلامية الخلقية ، و الضوابط الأدبية ، و الشروط الأساسية للمسلم ، استخداماً كاملاً ، و بانصاف و حياد و نزاهة .

و لا شك أن جميع المرححين و المعدلين من المحدثين لم يكونوا على قدم سواء في العلم و البصيرة و الحفظ و الاتقان ، و لم يكونوا كلهم يقيمون الميزان القسط من القواعد العلمية الدقيقة ، بل كانت تؤثر عليهم أحياناً نزعة تبوؤها أو اتجاه ساروا عليه ، أو عدم الاحاطة بالراوى الذى تكلموا فيه ، و كان ينشأ بسبب ذلك إفراط أو تفريط في حق بعض الرواة ، فيختل ميزان الرد و القبول .

و كل ذلك سياتى في أبحاث مفصلة عن المحدثين النقاد و أفاضلهم في الجرح و التعديل فهذه نبذة عن مشروعية الجرح و التعديل و اعتناء المحدثين بهما ، اعتناء قل نظيره في تاريخ البحث و التنقيب العلمى ، و هى تلقى بعض الأضواء على سير هذا العلم و تطوره و تاريخه ، و احتياط العلماء و المحدثين ، و تورعهم في الحكم على الناس ، و دقة مقاييسهم و أمانتهم و انصافهم ، الذى لا يوجد له نظير في عالم البحوث و الدراسات .

و لننتقل بعد ذلك إلى تعريف الجرح و التعديل و العدالة اصطلاحاً ، و معرفة أصول الجرح و التعديل وقواعدهما ، و أسباب القبول و الرد للرواة ، و متى يقبل الجرح ، و متى يرد ، و متى يقبل التعديل ، أمور لا بد من تمهيدها قبل الخوض في موضوع ألفاظ الجرح و التعديل ، فانها هى المفتاح الأساسى لهذا العلم الذى لا يفتح بدونه مغالقه و لا تحل بغيره دقائقه .

إن موضع الثقل في الأمم و الشعوب هو قلوب الجماهير ، و هذه القلوب لا يمكن فتحها أبداً بالعنف و الاضطهاد ، مهما ضعفت الجماهير و مهما قوى المضطهدون بل إنما يقع العنف على حركات الصحوة فيزيدها قوة و التهاباً ، و هي إذا التهمت فتصبح مثل النار تحرق عاجلاً أو آجلاً ، كل ما يأتي أمامها مما تأكله هذه النار ، و لقد نجحت حركات كثيرة لم تكن في حقيقة أمرها ذات فلسفة معقولة كبيرة و لكنها واجهت الضغط و الاضطهاد فالتهمت مثل النار و قضت حتى على فئات أقوى منها في الدبلوماسية و العناد .

إن ما يقع اليوم في شبه القارة الهندية ، في ولايات على تخوم الدولتين الكبيرتين ، ليس إلا من هذا القبيل ولا يرجى منه إلا أن تتكبد الجماهير ما يمكن من أحوال و وقائع و تمتلئ القلوب بما يمكن من المقت و العناد ، ثم يبقى هذا المقت و العناد مع هلاك عدد من النفوس و دمار عدد من الأجساد ، و هي لن تشكل إلا تضحيات قليلة أو كثيرة جسدية فحسب و هي مهما كثرت لا تنهى القضية و لا تقضى على غالبية الأفراد أيضاً ، لقد مرت دول معاصرة عديدة في العالم الاسلامي من خلال تجارب مماثلة و لم تنجح في تصفية معارضها و لم تزد حتى بعد عقود من السنين استمر فيها الكبت و الضغط و الارهاب ، من أنها أصبحت تعيش في خوف و ذعر من جماهيرها و تحيط نفسها بهالات من معدات الحفظ والحراسة الشديدة خوفاً من أن تلتقي انتقاماً من الجماهير نتيجة العنف الذي اکتوت بناره .

و ينطبق هذا الأمر على الجماعات المتذرة بالعنف و الارهاب أيضاً كما ينطبق على الحكومات المتذرة بالاضطهاد والظلم و التشريد ، فان تجارب العصر الراهن المختلفة تدل على أن الارهاب قلما أتى بنتيجة مقصودة و عاقبة محودة ،

الحقوق الانسانية و مصطلحات الحرية و الديمقراطية

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي
عميد كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء.

الشعوب الاسلامية في العالم اليوم تعاني اضطهاداً و تخويفاً و تشريداً ، سواء تحررت من نير الاستعمار الغربي أو كانت ترزح تحت وطأة الاستبداد و الاحتلال وذلك لأن الصحوة الاسلامية التي ظهرت في أنحاء العالم في دوائر الفكر و الادب الاسلامية أخافت أعداء الاسلام و خصوم الأمة الاسلامية فلجأ هؤلاء الخصوم إلى سياسة الضغط و الكبت ثم الاضطهاد ، و لكن الاضطهاد يخلق العنجهية و العنف ، فكان من نتيجة ذلك أن انتشر العنف في مختلف البلدان ، عنف يقع على نشاطات الصحوة ثم يكون له رد فعل يظهر في صورة العنف أيضاً من جهة أخرى ، و العنف حينما يشتد يصل إلى الصور الارهابية .

و يخطئ كثير من السياسيين عند ما يظنون أن الصحوة يمنعها العنف وأن الطموح يصدده الارهاب ، إنما هو تصور خاطئ ، فكما أن النار لا تطفئها النار كذلك العنف لا يزيله العنف بل بالعكس من ذلك تجد أن الغضب يزيله الحب و أن المقت يقضى عليه العطف ، و لكن السياسيين و الحكام منهم خاصة لا يؤمنون بذلك فلا تأتي سياستهم أو دبلوماسيتهم القاسية إلا بالخراب و الدمار ، و هذا الخراب و الدمار يظهران في صورة أشلاء جسدية في جانب أو في جانبين معاً ، و قد يظهران في صورة أشلاء أفئدة و أكباد إنسانية .

فان نظرة محايدة على الاحداث الراهنة في العالم لتدل على هذا الواقع وقد يكون في هذا الواقع استثناء و لكنه لن يكون إلا استثناء نادراً يخفى على كثير من الابصار .

و مما يؤسف له أن وطأة العنف و الارهاب قد يقع بين أفراد أمة واحدة، و شعب واحد، فلا يصطلي بناره الأعداء بل إنما يكون دائراً بين أبناء بلد واحد و أفراد أمة واحدة فيتقاتل إخوان الأمس كأعداء اليوم فيقتل بعضهم بعضاً و يهلكون الحرث و النسل، لا يضررون بذلك غيرهم بل إنما يضعفون قوة أنفسهم و يقللون عدد أنفسهم، فما تنتهي المحنة بعد مدة قصيرة أو طويلة إلا عن دمار مشترك و هلاك في أصل واحد كانوا في غنى عنه إذا رجعوا إلى الحكمة و العقل و حاسبوا الواقع حساباً صحيحاً .

ماذا وقع في لبنان من نهالك قوى أبنائها المتحاربة و من كان هو المنتفع من أحداثها، و ماذا يقع في تخوم الدولتين الكبيرتين لشبه القارة الهندية، و من يجني ثمرات أحداثها الدامية، أو ليس المسلمون يقتلون مسلمين و يهلكون نسلهم و ممتلكاتهم، و الجيران يقتلون جيرانهم و يحرقون بيوتهم و حوانيتهم، أليس كل ذلك صادراً من حمية جاهلية قامت على النسل و الوطن و لمصلحة الجاه و الوطن مهما كان تغليفهم له بأغلفة لحقوق الانسانية و مصطلحات الحرية و الديمقراطية .



البيولوجيا التناسلية

الأستاذ منور أحمد أنيس

تدريب : الأستاذ محمد أكرم قنوري

كان العلماء و الفلاسفة المسلمون في العهد الذهبي من التاريخ الثقافي الاسلامي على وعي تام بأن الفروع العلمية الخاصة تحمل كلامن الجانبين الحسن و القبح، و من ثم ركز الرازي و الزهراوي و ابن سينا و غيرهم من العلماء المسلمين على أن مناهجهم للبحث و الاكتشاف و ما تمخضت عنه من نتائج لا تتعارض مع المنهج الاسلامي للقيم و المثل بل توافقه و تنسجم معه انسجاماً تاماً، و لقد أحسن على الكيتاني حينما قرر أن ذلك العهد يمتاز بالوحدة بين الوسائل و الغايات في مجالي العلم و التكنولوجيا، و إنني سأحاول في دراستي هذه أن أشير إلى الامكنة التي تتعارض فيها تطورات البيولوجيا التناسلية (Reproductive Biology) مع بعض المصالح للنظام الاسلامي، كما و سأحاول أن أقوم باستعراض للتكنولوجيا التناسلية ثم أشير إلى ما تنطوي عليه من أخطار و مخاوف تهدد المجتمع الاسلامي، كما أنني سأقوم بالإيعاز إلى قضايا خلقية تسترعى انتباه العلماء المسلمين و تستلقت أنظارهم في أسرع وقت ممكن .

الميول الجنسية في الشرق و الغرب :

يعتمد نمو التناسل البشري على الميول الجنسية للناس و مكانة المرأة في المجتمع، و جرت عادة المسلمين على أنهم ما زالوا متفتحى العقول و الأفكار تجاه الجنس، وهم يرون حرية تامة لاشباع الفريزة الجنسية داخل نطاق الزواج، العزل طريقة قديمة لمنع الحمل، اتخذها العرب قبل الاسلام، و تؤكد الاخبار

الواردة في كتب الحديث أن نبي الله ﷺ لم يحرم العزل و كان المسلمون يعرفون هذه الطريقة لمنع الحمل بل و كانوا يطبقونها في عهد النبوة ، و على العكس من ذلك فان كنيسة انجلترا كانت معارضة للحمل حتى انعقاد مؤتمر لامبيت سنة ١٩٣٠م ، و كان اتخاذ وسائل منع الحمل محظوراً في أمريكا قبل سنة ١٩٢٨م حتى إن الاطباء كذلك كانوا قد فرض عليهم الحظر باستيراد و إصدار عقاقير منع الحمل و توجيه المرضى إلى تعاطيها .

و يرجع اتجاه الغرب الغامض تجاه الغريزة الجنسية إلى تلك الكراهية التي بثتها الأفلاطونية الحديثة (New Platonism) و الفيثاغورثية نحو الاستلذاذ الجنسي ، و كانت للتقاليد الدينية يد كبرى في نشر أوامر كسر الشهوة و الرهبانية في الغرب ، و إن دعاة الحرية الجنسية و حملة لواء حركة الوسائل الممقوتة لاشباع الغريزة الجنسية من حرية النساء و اختلاطن بالرجال ، و الشذوذ الجنسي ، ثاروا ثورة شديدة ضد موقف الكنيسة هذا ، و إن البحوث و الاكتشافات الطبية البيولوجية الحديثة قد اتخذت في مجال للشهوة البشرية و نمو النسل البشري منهجا مضاداً للنظام الخلقى التقليدى العتيق البالى .

و هنا ينشأ سؤال خطير عن النظريات الجنسية ! هل تعنى الشهوة تحقيق غرض تكويني ! أم إنما هي مجرد التمتع و الاستلذاذ ! و حسب ما اكتشفه ليونشات (LewInsohn) فقد اطلع على عظم من العهد الحجري في كهف استواز في الغرب الجنوبي من فرنسا، نحتت عليه صورة تمثل رسماً للحب و الغرام ، و هذا الرسم يشير إلى أن الحب كان متاعاً غالباً في العهد الحجري ، و لا توجد أى شهادة على نوع من العنف أو حرية إشباع الشهوة ، غير أنه توجد آثار تؤكد غرام الرجال بالنساء إلى حد يبعث على الضحك و العجب ، و قد لاحظ

الباحث خلال دراسته للصور النسوية للعهد الحجري القديم أنها تمثل الناحية الجنسية تمثيلاً تاماً ، و أنها تتغاضى عن ناحية نمو التناسل البشري ، لا شك أن هنالك صوراً للنساء الحاملات و لكن لا توجد أى صورة للام أو الطفل أو الباكرة .

هل يمثل هذا المنهج الفكرى الحر للعهد الحجري قيادة المرأة في البيت و الأسرة ، أم لم يكن هنالك أى تمييز من هذا النوع ؟ هذا سؤال لا يزال خبراء البيولوجيا و الاجتماع و المناصرون المتطرفون لحرية المرأة يتناولونه بالبحث و النقاش ، و إن باب التكوين من الكتاب المقدس يلقي مسؤولية ذنب آدم على حواء ، و ينص كتاب التكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨ على أنه بعد ما خربت مدينتنا سدوم و كومورة أرغمت بنت لوط أباهما على أن يجامعا بغية نمو التناسل (نعوذ بالله من هذا الافتراء الكاذب) .

كانت الشعوب العبرية تعتبر الجنس وسيلة للحفاظ على النسل العبرى ، و يشهد التاريخ اليهودى بأسره أن الرجال اليهود كانوا يملكون نساءهم ملكاً تاماً ، كما أنهم كانوا يملكون حرية تامة للتمتع بالاماء و البغايا و المومسات ، و إن أمر الطلاق كان كذلك بأيديهم ، و يرى « ويستر مارك » أن استبداد الرجل بالطلاق يحمل أهمية بالغة في الشريعة اليهودية .

و حسب التقليد العبرى فان المرأة لم تخلق إلا لخدمة الرجل ، حتى زعمت اليهودية أن النساء فاقدات للروح ، و من الادعية المأثورة وقت الحد في اليهودية ، « سبحانك اللهم و تعاليت إذ لم تخلقني امرأة ، و إن العبارة التالية من التلود تشير إلى ذلك المدى الذى كانوا يستحيون فيه من أن تولد لهم بنت ، و كانوا يزدرون بها :

« إن البنت مثل كنز فارغ لا يبه ، يخاف أن تهتك حرمتها ، أو أن تضل في شبابها أو أن تبقى عازبة بعد أن تستكمل سنها ، أو تحرم الانجاب بعد الزواج ، أو أن تتخذ مهنة السحر بعد أن تكبر » .

و وفق العهد العتيق فان الحائض نجسة إلى سبعة أيام سواء طهرت في يوم أو بعد سبعة أيام (١٥ : ٩) و لما عمت مخالفة هذا الحكم أصدر الربى الأعظم لاسرائيل بياناً سنة ١٩٧٢م و ألغاه ، و كل من اقترب من الحائض فقد يعاقب في الدنيا بالاعدام و في الآخرة بالحرمات من الحياة الخالدة .
وقد قام « واث برست » بتصوير المرأة في البيئة اليهودية كالتالى :

ما زال الرجال مستبدين بالحكم على النساء طوال التاريخ اليهودى و تؤكد الأتباء الواردة أخيراً من اسرائيل أنه لم يحدث أى تغيير أو تطوير في هذا النوضع رغم استنكار الحركات النسائية له على المستوى الدولى ، المقرر في اسرائيل أن الرجل هو المستبد بالطلاق دون المرأة ، وأن اليهود توارثوا عن آباؤهم حضارتهم العبرية التى تمتاز بكثرة الزواج و بيع الاعراض و هتك الحرمات و الاختلاف إلى البغايا و المومسات .

و التاريخ اليهودى من حيث المجموع يشهد بشدة الميول الجنسية لدى اليهود ، ولكن منذ أن انتشرت الرهبانية فيهم فقد وجدت بعض الحوادث التى تدين بهذا الميل والاتجاه ، فطائفة « اليسيس » مثلاً اتخذت هجر اللذات شعاراً لها ، و أعلنت بأن اللذة الجنسية تنسم بأسوأ خبث .

و منذ أن انتشرت المسيحية عدت النشاطات الجنسية من الذنوب و الآثام واعتبرت البكارة والعفة والتجرد شروطاً أساسية لازمة لارفع المناصب الروحانية ،

وشبهت العلاقات الزوجية بالبهيمية و الحيوانية ، حتى قال راهب : لا مبرر للعلاقة الجنسية الخلية إلا أنها تسبب في كثرة توليد الدواكر .

وحسب تصريح مؤسس المسيحية « السبنت بول » فان النساء خادمت للرجال ، وإنهن خادمت مخلصات للبيوت ، أو أنهن خلقن للشر الدائم أى الزواج ، وقال « الأب يكمنت » مرة في بيان له : لا بد لكل امرأة أن تستحى من أنها خلقت أنثى .

و أعلن راهب سنة ٥٨٥م و هو يردد صوت اليهودية أن النساء جذور الآثام والشرور و فارغات العقول والأرواح ، و تعتقد بعض الطوائف المسيحية أن الجنس و العلاقة الزوجية من الأعمال الشيطانية ، و أصدر المجلس الرومى سنة ١٧٠٣م إعلانه بأن الاتصال الجنسى بين الرهبان والنساء فاحشة و زناً ، وقال بلوف : إن الكنيسة الغربية كانت ترى في العهود الوسطى أن الاستلذاد الجنسى ليس إلا للذنبين ، و كانوا يفضلون التجرد ، وأما الذين يفشلون في التجرد فقد يباح لهم الزواج بشرط أن لا يهدفوا من الاختلاط الجنسى إلى التمتع والاستلذاد ، و إنما يجب عليهم أن يحملوا نصب أعينهم إنماء التناسل البشرى .

كانت المرأة بمثابة الأمتعة والاعراض ، وكان التقليد يكرهها أن تربط فرجها بحزام من الحديد أو النحاس حتى لا يهتك عرضها و لا تداس كرامتها .

و بلغ تصور بكارة المرأة في أوروبا إلى حد أن ربط الحزام على الفرج كان لازماً ، كما كان من الضرورى أن يستر بغلاف ، وارتفعت هنالك أصوات ضد هذه التقاليد و العادات ، فمثلاً هجر مارتن لوثر حياة التجرد في الأربعين من عمره ، ولكن أشار على الناس أن لا يقووا بالعلاقة الجنسية إلا مرة أو مرتين في أسبوع .

و في النصف الأخير من القرن التاسع عشر سادت الفلاسفات الفكتورية و البيورتنية في الحركات الجنسية الغربية .

كان الفكتوريون يتمنون لو أن النساء لم تكن لهن الفروج و كانوا يزعمون أن النساء إن لم يتحدثن عن المواضيع الجنسية فان شهواتهن تتلاشى و تغيب بنفسها ، و كان البيورتنيون يعرفون استجابة الرجال للنساء واستجابتهن للرجال ، و كانوا يعترفون بأن الرجال و النساء طبعوا على الضعف في شأن الجنس .

و مع مطلع فجر القرن العشرين ظهر كثير من المبررين للتحليل النفسى مع الشهادات العلمية و زعمت المدرسة الفرويدية أن النساء خلقن حريصات على ذكور الرجال و الاختلاط الجنسي .

و لعله من صدق المدرسة الفرويدية أن نظام المحاكم في كثير من البلدان الغربية يعتبر النساء معادلات للرجال في جريمة الزنا بالاكرام ، لأنها ترى أن المرأة هي التي تدعو الرجل إلى هذه الجريمة الشنعاء ، و في سنة ١٩٦٩م اهتمت فتاة في فرنسا باستهواها فتى إليها فقدمت مرافعة ضدها ، ثم عوقبت ، و لم يعط للنساء حق التصويت إلا في سنة ١٩٥١م .

إن الازمة الخلقية التي يعاني منها المجتمع الغربي نحو الاتصالات الجنسية و إنماء التوالد البشرى لا نعرف لها أثراً في التاريخ الاسلامى الممتد الطويل ، و حينما نمقد مقارنة بين الحضارات و التقاليد اليهودية و المسيحية و بين التاريخ الاسلامى نجد أن المجتمع الاسلامى يمتاز بالاتجاه الايجابي نحو الجنس ، و ضبط العلاقات الزوجية في أسلوب واقعى ، و إباحة الاستلذاذ الجنسي داخل نطاق الزوج ، وإنكار التجرد ، و التأكيد على العلاقات الاسرية المتسمة بالمحبة و الانسجام

و الاعتراف بدور المرأة في جميع نواحي الحياة .

ما زال الابهام و اليقظة الخادعة تجاه العلاقات البشرية يستغلان النساء في الحضارة الغربية ، و لكن التاريخ الاسلامى منزه عن ذلك .

قام الاسلام نظراً إلى خلقه الرجال و النساء و الضرورة الجنسية بوضع منهج خلقى عادل يشجع الغرضين من إقامة الاتصالات الجنسية أى التمتع و نمو التوالد البشرى ، و لم يقر بمقياس مزدوج ، و لم يذكر القرآن الكريم حزاماً للصيانة ، و لم يتهم النساء أنهم يستخدمون الطرق المشروعة و غير المشروعة لاشباع شهواتهم الجنسية وقوعاً في حباله الشيطان .

إن الاسلام لا يلقى على المرأة مسئولية هبوط الرجل ، إنه يرى أن الله هو الذى خلق الرجال و النساء ، و يقول تعالى :

« و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (سورة الروم الآية : ٢١) . و يقول الله عزوجل :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نسأماً ، (سورة النساء الآية : ١) .

و أكد القرآن الكريم أن النساء خلقن للعبادة كما خلق الرجال للعبادة ، و لم يحصر الاخلاق و العفة و الطهارة في نطاق الأفعال الجنسية بل جعلها شاملة لجميع نواحي الحياة الانسانية ، يقول الله تعالى :

« إن المسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات ، و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات

و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و المحافظين فروجهم
و المحافظات و الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرأ عظيماً ،
(سورة الأحزاب الآية : ٣٥) .

هذه الآية الكريمة تلقى الضوء بوضوح على أن الاسلام أتاح للرجال
والنساء فرص الأعمال الصالحة بطريقة عادلة ، و قد أكد الاسلام على الأعمال
الصالحة من دون أن يميز بين الذكر و الأنثى ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم
أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا ، و إن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » (سورة
النساء الآية : ١٣٥) .

و قد أمر الاسلام الرجال و النساء بالطهارة و النزاهة ، يقول الله
سبحانه و تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن
الله خبير بما يصنعون ، و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن
ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدن
زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو إخوانهن
أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير
أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » (سورة النور الآية : ٣٠ - ٣١) .

« يتبع »

صور و أرضاع :

تقدمية أم جاهلية

واضح رشيد الندوى

تقوم في عدد من بلدان العالم حركات الرجعة إلى الورا ، الرجعة إلى
ثقافة الماضي ، و الرجعة إلى لغات الماضي ، و إلى الخطوط الجغرافية التي كانت
سائدة في الماضي ، و العودة إلى الأوطان الماضية ، و الانتقام من الأجيال
المعاصرة على ما صدر من الأجيال الماضية .

هذه الحركات تقوم بأسماء مختلفة ، وإذا أردنا أن نضع النقط فوق الحرف
ونكون أكثر ايضاحاً ، قلنا إن العالم اليوم رغم الدعوى بالتقدم يسير إلى الورا ،
بخطى حثيثة ، و كل صراع و نزاع ، في العالم اليوم يرجع أصلاً إلى هذه العملية
العنيفة للعودة إلى الورا .

إنه لاتجاه خطير ، فإن القطار الذي يسير إلى الامام ، أو الطائرة التي تطير
في الفضاء ، أو الصاروخ الموجه إذا حاول السائق أو القائد أن يعيده إلى الورا
فكر عدة مرات ، و وجد صعوبة شديدة ، و قد يكون ذلك سبباً لصدام ،
أو تحطم و على الأقل يعتبر ذلك خسارة للوقت ، و الوقود ، و مخاطرة بحياة
الركاب ، و الجهاز .

يعتبر كل عاقل الرجعة عملاً مشيناً ، و الاندفاع حسناً ، يبشر بخير و يدل
على التقدم ، و يبعث على الطمأنينة ، و لكن العقلية المعاصرة ، رغم دعوى
التقدم هي في الحقيقة عقلية رجعية ، عقلية انفعالية ، و نائرة ، تؤمن بالهدم
و النقص ، و الاعتداء ، و إن ادعت أنها عقلية البناء ، و التعمير ، و الابرام و السلام .

إن نظرة على الحركات و التحركات في العالم المعاصر توصل الانسان إلى هذا
الواقع المؤلم ، واقع تراجع العالم فكراً ، و ثقافياً ، و ذهنياً .
إنه يتبع في الحكم طرق الحكام في العهود القديمة ، في الاستبداد ، و قمع

صور و أوضاع

هناك حركات لاهياء السامية ، والآرية والاشورية ، والنبطية ، والفرعونية ،
والهندوكية العتيقة ، و إحياء تلك الاوطان التي عاشت فيها هذه الحضارات ،
و إحياء حدودها ، و مميزاتا .

كان هتلر يؤمن بتفوق الجنس الآري و حمل شعار الآريين و من أجل
ذلك قاتل ، و سبب شقاهاً عظيماً ، و حارب الساميين و شكل اليهود كتلة الساميين
ثم انشقوا و انزوا إلى إسرائيل ، و طالبوا بوطن أسلافهم ، و الآن يتجمعون
في هذا الوطن و وطن الآباء و الأجداد ، و يتسللون إليه من كل صوب ، و يتركون
دول أوروبا الراقية ، و قد قاموا باحياء العبرية ، و بعثوها من مدافن اللغات ،
ثم يستعملون كل نوع من الاضطهاد و الاكراه ، لتحقيق هذا الحلم ،
حلم إعادة تاريخ ما قبل آلاف السنوات ، و يحاولون أن تعود إليهم آثارهم و في
مقدمتها القدس ، فيخططون هدم المسجد الأقصى لبناء هيكلهم القديم .

و يطالب الأقباط في مصر إعادة مصر إليهم ، و إحياء الحضارة الفرعونية ،
و في السند يطالب السنديون إحياء حضارة السند القديمة ، فيقتلون غير السنديين
من أجلها ، و يقولون السند للسنديين و كان ذلك سبب سفك الدماء في باكستان أخيراً .

و هكذا تقوم حركات قبلية و سلالية في الاتحاد السوفيتي ، و في الهند
اشتدت هذه النزعة ، نزعة العودة إلى القديم ، فشملت كل جانب من جوانب
الحياة ، اللغة ، الأدب ، و الثقافة ، و البناء و الفن و المعابد ، و الطبقات
الاجتماعية ، و قد أدخلت بعض هذه المطالب الرجعية في الدستور الهندي ،
و يجرى العمل بها سياسياً و اجتماعياً .

و من هذا القبيل ما أفادت به الأنباء أن بعض الزعماء المتقاعدين من الهندوس
- وهذه النزعة توجد أكثر في المتقاعدين - شكلوا جمعية آرية ، و من أهداف
الجمعية الملن عنها تجميع الآريين أو تكتلمهم ، و إيجاد ائتلاف بينهم على أساس

الحريات ، و فرض القوة ، و المطامع التوسعية ، و في الاقتصاد إنه يتبع
نظام الاستغلال القديم ، فيزداد الشقاء في جانب و الترف و البذخ في جانب ،
فبينما توجد بنايات ناطحة السماء مجهزة بجميع وسائل الراحة ، و بجانبها أكواخ
للحفاة العراة ، رجال يسبحون في المسابح في آفق منظر ، و آخرون لا يجدون ماء
للشرب ، و في الحياة الاجتماعية قتل و نهب و سلب ، و عدوان ، و إحراق حتى
في أمريكا ، لا يسع الناس أن يخرجوا في الليل بأمان و يشعروا في بيوتهم بأمان ،
لأن أعمال اللصوصية و السرقة ، و القتل ، منتشرة ، و تعم الصراعات الآسرية و القبليّة
و الطبقيّة في الاتحاد السوفيتي الدولة التي هي تأتي أكبر قوة في العالم ، و الصراع في
أمريكا ، بين السود و البيض مستمر و في بريطانيا تتصارع مختلف الاجناس ، و المواطنون
القدماء ، و النازحون ، يتصارعون في فرنسا كذلك ، و الصين تقتل عشرة آلاف شخص
لأنهم طالبوا ببعض الحقوق ، هذه هي الدول الكبرى التي تسيطر على العالم ،
و تعتبر قدوة للعالم المعاصر ، إنها مليئة بالصراعات ، و ما أفادته الأنباء من أوروبا
الشرقية من وجود نظم الاستبداد ، و بذخ الحكام ، و الترف في الآسر الحاكمة
و بؤس الشعب ، كل ذلك يعيد الانسان إلى عهد قيصر و كسرى .

و مما يدل على الاتجاه إلى الوراء ، إحياء الثقافات الماضية ، ثقافات آلاف
من السنين ، فلا يخجل دعاة التقدم اليوم في إحياء ثقافات و حضارات عاشت
ثم بادت قبل آلاف من السنين ، فيدعى بعضهم أنه يقوم بأحياء ثقافة ع/آ آلاف
سنة ، و منهم من يقول سبعة آلاف سنة ، و تسمع هذه الأصوات في الدول
التقدمية التي لا تكتم عداها للأديان ، و الأخلاق ، لأنها عندما جزء من
التراث ، و إذا قبل هذا الذهن الدين ، أو بعض نوااميس الأخلاق قبلها
كجزء من التراث .

و يعكف التقدميون على خدمة التراث ، و إحياء ما في التراث ، و لكن
ما هو التراث يا ترى ؟ أليس هو ما يتصل بالعهد القديم ، الشيء الذي فسد
بمرور الزمن هو التراث .

الانتباه إلى الآرية ، و محاربة الساميين ، و معنى ذلك أن هتلر ولد من جديد في الهند ، و تضم الأمم الآرية كل أمة في الأرض غير اليهود ، و المسلمين ، و اليهود أيضاً يدخلون فيها كمرقب لأنهم أعداء المسلمين .
و يوجد في الهند زعماء يجهرون بهذه النزعات ، نزعة عداة السامية و في نفس الوقت إنهم يبدون صداقتهم مع اليهود ، لأنهم مستهدفون لعدوان العرب الساميين إلى حد تعبيرهم .

و من هذه النزعات الرجعية ، حركات تدعى بأن المسلمين في الهند أولاد الآباء و الأجداد الهندوس فهم بهذا الاعتبار ، أحفاد الهندوس ، فيجب عليهم أن يمجّدوا آلهة الهندوس و يقدسوا راماً ، و لكشمن ، و ينضموا إلى الثقافة الهندية القديمة .

و هذه النزعة مسئولة عن حركة استعادة المساجد التي يدعى أصحابها أنها قامت على أنقاض المعابد ، و إن لم تكن بنيت على الانقاص فانها في الأماكن التي ولد فيها الآلهة في العهد القديم .

و قد طالب شنكر أجازية أنه يجب أن يعاد كل مسجد يدعى الهندوس أنه بنى في مكان المعابد في العهد القديم ، و يهدد هؤلاء الزعماء أن المسلمين يجب أن يقدسوا التراب الذي ولدوا فيه ، و يعودوا إلى دين آبائهم و يحاول هؤلاء الزعماء فرض اللغة الهندية القديمة ، محل اللغات التي نشأت في العمود الأخيرة ، و يحدفون من تاريخهم أكثر من ألف سنة و يصلون أنفسهم بما قبل ألف سنة ، كما يربط الأوربيون المعاصرون حضارتهم بعهد اليونانيين و الروم .

إن جميع هذه النزعات رجعية ، و مما كسة عقلية التقدم ، إنها رجعة ، لا رجعة فوقها ، و لكن الذين يقومون باحياء حضارات ما قبل آلاف سنة متقدمون ، و المسلمون الذين لا يريدون العودة ، بل يسرون مع العصر ، بروح العصر و إنما يريدون إصلاح الفساد ، و محاربة الرجعة إلى حضارات آلاف السنين يهتمون بأنهم رجعيون ، معارضون للتقدم ، إنه لمنطق غريب .

١- « الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة »

هذا الكتاب مجموعة من أجوبة رد بها حافظ الحديث أحمد بن علي بن محمد ابن حجر المسقلاني على عدة أسئلة وجهها إليه تلميذه البارع عبد الرحمن بن سليمان الصنابحي الدمشقي ، و هي خمسة أسئلة كالتالي :

- ١- ما يتعلق بحديث الجساسة ، ٢- ما يتعلق بثلاثة أحاديث من أبي داؤد
- ٣- ما يتصل بترجمة الكسائي ، ٤- ما يتعلق بترجمة التوربشي صاحب شارح المصايح ، ٥- ما يتعلق بتعريف الحسن من الحديث .

قام بتحقيق هذه الأجوبة الأستاذ محمد إبراهيم حفيظ الرحمن السلفي ، و قدمها كرسالة محققة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لئيل شهادة الليسانس .

وقد تولت الدار السلفية في بومباي لصاحبها فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي طبع هذه الرسالة و إخراجها في حلة قشبية و جميلة ، و هي تحفة علمية لجماعة أهل العلم و الطلاب في كل مكان .

٢- « أسماء من يعرف بكنيته من أصحاب رسول الله ﷺ »

ألفه الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلی (المتوفى ٥٣٧٤ هـ) يبحث (كما يظهر بالاسم) حول معرفة الصحابة و أحوالهم و أسمائهم وكنامهم و ألقابهم ، قام بتحقيق هذه الرسالة الأستاذ أبو عبد الرحمن اقبال أحمد بن محمد اسحاق بسكوهرى ، و هي أيضاً من مطبوعات الدار السلفية التي اعتنت بطبعها و إخراجها في صورة جذابة و شكل جميل .

و الرسالة تحتوى على مقدمة للحقق تحدث فيها عن معنى الكنى و استعمالها و فوائد معرفتها و أقسامها ، و المؤلفات التي ألفت في الكنى ، كما أنه ذكر ترجمة المؤلف بشئ من التفصيل .

تتضمن الرسالة تراجم مآثر صحابي على الترتيب الابدائي ، و تبتدىء من أبي أيوب الأنصاري ، وهي من المؤلفات اللازمة لأصحاب الحديث بوجه خاص .

٣- كتاب الكنى لمن لا يعرف له اسم ،

من أصحاب رسول الله ﷺ

هذه الرسالة كذلك من تأليف الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلى ، ومن تحقيق الأستاذ أبي عبد الرحمن إقبال أحمد بن محمد اسحاق بسكوهرى ، وهي تحتوى على تراجم الصحابة رضى الله عنهم ممن يعرفون بكناهم دون أن تعرف أَسْمَاؤُهُمْ ، ولها أهمية كبيرة في مجال البحث والتحقيق للذين يشتغلون بالسنة و مكاتبا .

و لقد امتتت الدار السلفية كشأنها باخراج و طبع هذه الرسالة في صورة أنيقة جميلة ، و قد ألبستها حلة قشبية من التحقيق و الطبع لأول مرة ، و هي جديرة بالشكر و التقدير من قبل أصحاب العلم و المعرفة و البحث و الدراسة . إن هذه الرسائل كلها تسد فراغاً في المكتبة الاسلامية العامة ، و تشكل زيادة قيمة فيها ، فللقائمين على أعمال النشر و الاخراج و البحث و التحقيق شكر أصحاب العلم و الدراسة و على الله تعالى جزاؤهم جميعاً .

٤- مجالس الميمنى

وجه سعادة الأستاذ السيد ممتاز حسن رئيس لجنة تطوير الادب الأردني في باكستان دعوة إلى العلامة الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى لالقاء محاضرات عن تاريخ اللغة العربية و تدوينها و عن معاجم هذه اللغة و أبرز علمائها ، فلبى العلامة الميمنى دعوته و ألقى محاضرات قيمة حول الموضوع باللغة الأردنية ، نظراً إلى أن معظم المستمعين في مجالس الميمنى ما كانوا يعرفون اللغة العربية .

و قد دارت محاضرات الميمنى حول الأسئلة الثلاثة التي قد وجهها إليه السيد ممتاز حسن ، و هي كالآتي :

- ١- إلى أى عصر يرجع تاريخ اللغة العربية القديمة ؟ .
 - ٢- متى نشأت المعاجم العربية و بدىء تدوينها ، كيف كانت جهود العلماء في هذا المجال ، و من هم كبار أصحاب المعاجم ؟ .
 - ٣- ماذا ترون عن تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى و وضع معاجمها ؟ .
- أفاض العلامة الميمنى في الرد على الأسئلة المذكورة في أسلوبه العلمي الرصين ، و في ضوء معلوماته و دراساته العميقة و لم يخل بادلاء التحقيقات العلمية التي كان هو أبا عندها ، فتكونت بذلك مجموعة قيمة للأفكار العلمية والتاريخية والأدبية تنال ترحيباً وقبولاً واسعاً في جميع الأوساط العلمية والأدبية . و لقد قام البروفيسور مختار الدين أحمد ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره سابقاً و رئيس تحرير مجلة مجتمع العلمي الهندي ، بتدوين و نقل هذه المحاضرات من الشريط ، ثم توزيعها على أساتذة اللغة العربية في الهند رجاء أن ينقلوها إلى اللغة العربية .

و فعلا بذل في ذلك مجهودات غالية حتى تمكن من تأليفها والاعتناء بالتحقيق و التعليق عليها ثم طبعها بصورة رسالة علمية أدبية مفيدة متحلية بمقدمة قيمة بقلبه تكون بمثابة أيدى العلماء و الأدباء و المؤرخين جميعاً .

و قد سمي هذه الرسالة (مجالس الميمنى) و أخرجها في طباعة عربية أنيقة ، تستحق الإعجاب و التقدير ، و يستحق البروفيسور مختار الدين أحمد الثناء و الشكر على ما قام به من مجهودات قيمة في إبراز هذا الكنز الثمين من العلم والأدب إلى النور ، و تعميم نفعه بين جميع الأوساط العلمية والأدبية والتاريخية .

س - الأعظمى

جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند

تعقد إجتماع مجلس الشورى لاختيار الامير الجديد

عقدت جمعية أهل الحديث المركزية في دلهي إجتماعاً هاماً لأعضاء مجلس الشورى في الاسبوع الاول من شهر ذي القعدة ١٤١٠ هـ ، مثلت فيه ثمانى عشرة ولاية هندية ، و كان أهم لموضوع لجدول أعمال الاجتماع هو اختيار أمير الجمعية لعموم الهند ، فقد كان فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوى يشغل هذا المنصب بشكل موقت بعد وفاة الامير السابق فضيلة الشيخ عبد الوحيد السلفى رحمه الله .

و قد تم اختياره لمنصب الامير لمدة خمس سنوات ، باجماع من الأعضاء الحاضرين في الاجتماع ، و قام فضيلة الامير الجديد بتعيين فضيلة الأستاذ عبد الوهاب الخلجى أمين عام الجمعية وسيكون عدة نائبين لفضيلة الامير من بين أعضاء الجمعية كما أن عدداً منهم يكون نائباً للامين العام كذلك .

و نحن إذ نتقدم بتهانينا القلبية إلى فضيله الامير الجديد الشيخ مختار أحمد الندوى و الامين العام الأستاذ عبد الوهاب الخلجى و تمنى لهما أياما سعيدة و حافلة بالأعمال الإيجابية البناءة ، ندعو الله سبحانه و تعالى أن يكرم الجميع بالتوفيق و السداد ، و يلهمهم معاني رشيدة للبت في قضاياهم المسلمين و غيرهم في هذه البلاد و خارجها .

و الله ولى التوفيق

